الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

البعد الأيديولوجي في رواية " الـــورم "

لـ : محمد ساري

مُذَكِرَة مُقَدَّمَة لِنَيْل شَهَادَة الماستر في الآَداب واللُّغَة العَرَبِيَّة
تَخَصُّصْ: أدب حديث و معاصر

إعداد الطالبة:
نورة بريقل

إشراف الأستاذ الدكتور:
سليم بتقة

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
حياة معاش	دكتورة	رئيسا
سليم بتقة	أستاذ دكتور	مشرفا ومقررا
نوال بن صالح	دكتورة	مناقشا

السنة الجامعية: 1437هـ/1438هـ
2016م/ 2017م

بســـم اللّـــه الرّحمـــن الرّحيـــم

الإهداء:

إلى معلِّمي الأوَّل سندي في الحياة أبي حفظه الله .....

إلى أمي الغالية .....

إلى أستاذي الفاضل الدكتور سليم بتقة ...

أهدي هذا العمل.....

نــورة .

مقدّمـــة

مقدمـة:

رواية التسعينيات أو الرواية السوداء أو رواية الأزمة ،كلها مسمَّيات للرواية الجزائرية زمن المحنة والتي كان المبدع الجزائري مجبرا على تناولها، إذ نقل هذا الأخير التجربة الواقعية إلى تجربة إبداعية جعلت النصوص الروائية التي وُلِدت من رحم الأزمة، وفي أُتون المحنة انعكاسا للواقع المفجع، والأوضاع المزرية في الشارع الجزائري بسبب الصِّراع الدائر في تلك الفترة .

وقد ظهرت في السَّاحة الأدبية تجارب إبداعية متعدِّدة مثَّلت إلى حدٍّ ما مشهدا صادقا للوضع المأساوي الذي عاشته الجزائر، إذ انطلقت أقلام جزائرية عديدة في نقل معالم تلك الفترة الحرجة؛ التي ميَّزتها الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي عصفت بالجزائر آنذاك، لتنتج محصولا روائيا غزيرا كان مادة دسمة للدراسة من قبل الباحثين .فعلى غرار "واسيني الأعرج و ياسمينة خضرة و الطاهر وطار" وغيرهم ممن عن الأزمة الجزائرية نجد الروائي "محمد ساري" الذي جعل من أحداث تلك الفترة مادَّة خاما بنى عليها نصَّه الروائي «**الورم** » حيث مثَّلت الرواية مشهدا صادقا للوضع المتأزم في جزائر التسعينات، وصوَّرت جانبا هاما من الصراع الأيديولوجي الذي كان قائما آنذاك وخاصة في قراها و أريافها.وهو الموضوع الذي حاولنا دراسته في هذا البحث المعنون بـ:"البعد الأيديولوجي في رواية الورم" حيث تنطلق مقاربتنا في دراسة أبعاد الصراع الأيديولوجي في رواية "الورم" من جملة تساؤلات يخص أولها المجال المفهومي للأيديولوجيا وتوظيفها في العمل الأدبي ؟

ـ ثم ماالعلاقة بين الأدب و الأيديولوجيا ؟

- وكيف تجسد الصراع الأيديولوجي في أجزاء الرواية ؟

إن اختيار "البعد الأيديولوجي في رواية الورم " موضوعا للدراسة لم يكن من قبيل الصدفة،وإنما جاء بناء على الرغبة في خوض غمار هذه الدراسة، في محاولة لتعريف هذا المصطلح الذي يلفُّه الغموض رغم تعدد محاولات المفكرين لضبط هذا المصطلح، ثم اختيار رواية "**الورم**" التي تعدُّ نسخة عربية لرواية"**المتاهة**"التي كتبها ساري باللغة الفرنسية دون غيرها من أعماله الروائية لما ينطوي عليه هذا النص الروائي من شحنات إيديولوجية، ولما حملته هذه الرواية من مشاهد وأحداثٍ قدَّمت للمتلقِّي صورة صادقة وصادمة لحقيقة المشهد المأساوي في تلك الفترة المليئة بالصراعات الأيديولوجية.ووجدتني مشدودة بقوة لأسلوب هذا الكاتب الذي كان على وعي بخصوصية الحرفة الأدبية، فاستطاع بحنكة إنتاج نص أدبي يعج بالصراعات الأيديولوجية.

جاء البحث في فصلين، حيث قدم بداية مفهوما للأيديولوجيا من زوايا ثلاث؛ استُهِلَّ بمدخل يعدُّ تمهيدا نظريا شُرِحت فيه العلاقة بين الأدب و الأيديولوجيا، وأردف هذا التمهيد فصلان أوَّلهما نظري بحت؛ تناول المجال المفهومي للأيديولوجيا ، باعتبارها علما للأفكار، ثم الأيديولوجيا في الفكر الفلسفي عند كل من "**كارل مانهايم**"***Karl Mannheim***، "**بول ريكور**"**Paul Ricoeur** و"**لوسيان غولدمان**"**Lucien Goldmann** وأخيرا الأيديولوجيا عند

المفكِّر الألماني "**كارل ماركس**"**Karl Marx**. أما ثانيهما فهو تطبيقي تناول بالدراسة الصِّراع الأيديولوجي في رواية الورم لمحمد ساري من خلال جوانب ثلاثة: أوَّلها الرؤية الأيديولوجية من خلال(العنوان_المتن_الانتماء)وثانيها عن طبيعة الصراع الدائر بين الدرك والجماعات المسلحة،أما الأخير فقد خُصِّص لدراسة الشخصيات وانتماءاتها الأيديولوجية من خلال مقاربة الشخصيات الرئيسة في الرواية وانتماءاتها الأيديولوجية.

و نُختِم هذا البحث بحوصلة للنَّتائج التي خلُصت إليها هذه الدراسة .

وأما عن المنهج المتَّبع في هذا البحث فقد بدا لي أن المنهج الأصلح لهذه الدراسة هو المنهج الوصفي باستعمال آلية التحليل. وهو ما تقتضيه طبيعة هذا البحث و موضوعه، وقد استعنت في هذا البحث بمجموعة من المراجع أهمها :**الأيديولوجيا واليوتوبيا** لـ:"كارل مانهايم" **محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا** لـ:"بول ريكور"، **النقد الروائي والأيديولوجيا** لـ: حميد لحميداني.

وإذا كان أي بحث علمي لا يخلو من صعوبات، فإن أول صعوبة واجهتني هي ضبط مصطلح الأيديولوجيا، إذ تعدَّدت مفاهيمه واستعمالاته وتباينت آراء الكتَّاب في وضع مفهوم واضح لهذا المصطلح في الكتب التي تناولت هذا الموضوع.وثانيها صعوبة إيجاد المدونة محل الدراسة التي تحصلت عليها بعد بحث مضنٍ .

ويبقى هذا البحث مجرد محاولة، وإن أخطأ في الكثير فلعلَّه أضاء جانبا من جوانب الموضوع المظلمة ،وهنا أدين لأستاذي الفاضل الدكتور سليم بتقة بالشكر الجزيل إذ لولا توجيهاته ونصائحه الرشيدة لما كان لهذا البحث أن يرى النور.

تمهيـــــد

الأدب و الأيديولوجيا :

إن تحديد تعريف خاص للأيديولوجيا يعد من الصعوبة بمكان، باعتبار أن هذا المفهوم يشكل محل خلاف في الأوساط الفكرية والنقدية في الدراسات الحديثة. ولعل التداول الكثير لهذا المصطلح يعدُّ السبب الرئيس في تعدُّد معناه وجعله موضع خلاف ،هذا وقد اوجد المفكرون والفلاسفة غير مفهوم للأيديولوجيا، وقدَّم كل منهم رؤيته الخاصة ومجموعة تصورات حدَّد بها معالم هذا المصطلح.

لعل من بين أكثر المفاهيم الشائعة المبلورة لمصطلح الأيديولوجيا هو علم الأفكار ,إذ تعتبر «كلمة أيديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية ,وهي تعني لغويا ,في أصلها الفرنسي علم الأفكار» [1] .فلأيديولوجيا تشير إلى جملة من الأفكار والتصورات والرؤى المعبرة عن فكر أمة من الأمم أو طائفة من المجتمع .

كما تعبِّر الأيديولوجيا عن الوعي الطبقي إذ« أن لها قيمة معرفية محددة وهي تصحِّح أو تزيف الأفكار عن الحياة لنمط اجتماعي محدد» [2] فلأيديولوجيا باعتبارها نظاماً من الأفكار السائدة تسهم في تطور العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع معين وقد تسهم في ذات

[1] عبد الله العروي ،مفهوم الأيديولوجيا ،المركز الثقافي العربي ،ط5 بيروت 1993 ،ص:9.

[2] رمضان الصباغ ،الفن والأيديولوجيا ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،ط1 2005 ،ص:12 .

الوقت في خلخلتها وذلك لارتباطها الوثيق ب« الوعي الاجتماعي social consciousness »[1].

ترتبط الأيديولوجيا بشكل مباشر بالمجتمع ،باعتبارها معبرة عن أفكار وانتماءات شرائح المجتمع المختلفة ،وهي تبرز بشكل أكبر عندما تحدث زعزعة في استقرار المجتمع سواء من الناحية السياسية أو الدينية أو غير ذلك .... فالأيديولوجيا تعبر عن «فكر جماعة تاريخية كالطبقة والملة الدينية»[2].

تعبِّر الأيديولوجيا عن وعي طبقة اجتماعية معينة ، وعن جملة من الأفكار والتصورات لمجتمع معين في عصر من العصور فهي ولا بد « تعبر عن الأفق الذهني الذي يحدُّ إنسان ذلك العصر» [3]وبما أنها تصوِّر ذهنية مجتمع ما ،فهي بالضرورة ترتبط بالأدب باعتباره أحد أهم الأشكال المعبرة عن واقع المجتمعات وعن عواطف الإنسان ومشاعره بأسلوب راق وبلغة راقية أي باستخدام لغة خاصة . «ذلك أن الأدب يحول اللغة الاعتيادية ويشدِّدها وينحرف بصورة منظمة عن الكلام اليومي»[4] أي أن لغة الأدب تختلف عن لغة الحياة اليومية وتختلف عن اللغة العلمية من حيث أنها استخدام خاص للغة .

---

[1] المرجع السابق ،ص:11 .

[2] كارل مانهايم ، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ،ترجمة محمد رجا عبد الرحمن الديريني،شركة المكتبات الكويتية ،ط1 أكتوبر 1980 ،ص:15 .

[3] عبد الله العروي ،مفهوم الأيديولوجيا ،مرجع سابق ،ص:10 .

[4] تيري ايجلتون ،نظرية الأدب ،ترجمة ثائر ديب ،منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،دمشق1995،ص:11.

إن« أدب أي أمَّة هو نتـاج عواطفها ومشاعرها وعقولها وهو عصارة مزاجها النفسي وطابع روحها»[1] أي أن الأدب انعكاس لعواطف المجتمع وحالاته النفسية ،وعاكس في الوقت ذاته لأفكاره ورؤاه ، فالأدب ومن حيث أنه «مجموعة من المؤلفات التي تملك الإثارة الفكرية والعاطفية »[2] تخوّله وتمنحه هذه الأخيرة سلطة تأثيرية كبيرة في المجتمع ،وتلزم الأديب في الآن ذاته بامتلاك موقف خاص ومنظور و رؤية خاصة من الحياة ، ومن هنا عرف الناقد الإنجليزي **"كولوريدج"** « الأدب بأنه نقد الحياة »[3].

يستعمل الأديب أدبه كوسيلة فنية يعبر من خلالها عن موقفه من الحياة مثله مثل الفنانين الذين يستعملون الرسم والموسيقى كوسيلة للهدف ذاته ،وينطلق منها بناء على جملة من الأفكـار والتصـورات التي آمن بها فالأدب «وسيلة جمـالية للتعبير عن قضـايا الحياة ومواقفهـا المختلفة » [4]والحديث عن العلاقة بين الأدب و الايديولوجيا يمكن النظر إليه من زوايا متعددة ،ما أوجدته نظريات الأدب من علاقة بين ما ينتجه الأديب وخلفياته .

إن العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا يمكن أن تستشفَّ بالنظر إلى مجموعة النظريات الأدبية التي ذهبت بعيدا في تصوير العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا ،إذ نجد التزام الأديب بجملة أخلاقيات فرضتها عليه الفلسفة الأفلاطونية وما دعت إليه نظرية المحاكاة التي أصل لها

[1] أنور الجندي ،خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث ،دار الكتاب اللبناني ط 2، 1985 ص:12 .

[2] محمد مندور ،في الأدب والنقد ،نهضة مصر للطباعة والنشر ،ص:7.

[3] سليم بتقة ،البعد الأيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب ،دار علي بن زيد ط1 ،2003 ،ص:7.

[4] عبد القادر القط ،في الأدب العربي الحديث ،دار غريب للطباعة والنشر ،2001 ،ص:4.

أفلاطون في القرن 4 ق.م إذ ركَّزت هذه الأخيرة على «المعايير الأخلاقية(أفلاطون) والجمالية الشكلية (أرسطو) وتلزم الأديب بها »[1] هذه الشروط التي تلزم الأديب سواء الجمالية الشكلية أو الأخلاقية أو تلك التي تقتضي المنفعة في العمل الأدبي تسقط عن الأديب انتماءه وفكره و أيديولوجيته.

لكن مع ظهور الثورة الرومانسية وبروز الفكر البرجوازي الداعي إلى الثورة الإقطاعية بعد أن ظلَّ الأدب الكلاسيكي اليوناني ونفوذ الكنيسة مسيطرا على العقول لسنوات طوال ،ظهر أدب جديد بقيم فنيَّة جديدة دعت إلى حرية الفرد وتغليب الشعور والوجدان على العقل والتجربة ،فكانت أن ظهرت نظرية التعبير التي ولدت من رحم الأدب البرجوازي والذي ظهر كفن « ملتزم موجه ضد فن العصر الإقطاعي الملكي المطلق »[2] وهو بالتالي يعبِّر عن الأيديولوجيا والفكر البرجوازي فكانت الأشكال الأدبية تمثل في ذلك الوقت ثورة على الأنماط الأدبية التي كانت سائدة .

تحول مسار الأدب بعد الثورة الصناعية ليأخذ منحى آخر ويعكس واقع الصراع الحاصل بين كل من «الطبقة البرجوازية وطبقة العمال »[3] فكان أن أميط بالأدب مهمة تصوير هذا الصراع بصورته الحقيقية ،فغدا الأدب مرآة تعكس ما يشهده ذاك المجتمع من

[1] سليم بتقة ،البعد الأيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب ،مرجع سابق ،ص:18.

[2] عمر عيلان ،الايديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سابق ،ص:38

[3] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

صراعات طبقية تولدت من رحمها نظرية الانعكاس ، التي دعت الأديب إلى التعبير عن مجموع القيم الاجتماعية من حرية وعدالة لتكوِّن هي الأخرى أيديولوجية مخالفة .

إن العلاقة بين الفن بمختلف أشكاله والأيديولوجيا لا تخلو هي الأخرى من التعقيد وذلك لارتباط الفن بمختلف ضروبه بوعي الفنانين والكتَّاب وبواقع مجتمعاتهم . هذا الارتباط الوثيق ولَّد اختلافا في الرؤى والأفكار في الوسط الإبداعي .

وتخضع العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا لجملة من الضوابط «تتمثل في كون الفن يمثل خصوصيات جمالية ،وآفاق تشمل الواقع وتتجاوزه بعد أن تتغذى منه في حين ترتبط الأيديولوجيا بمصالح سياسية أو براغماتية نفعية »[1]ومن هنا فالجمع بين الأيديولوجيا باعتبارها في الغالب مرتبطة بمصالح سياسية والأدب وما يستوجبه من معايير فنِّية وجمالية يعد من بين أهم الإشكالات التي تواجه العمل الإبداعي ذلك أن طغيان الفكرة الأيديولوجية على حساب الخصائص الفنية والجمالية في العمل الأدبي قد يجعل منه مجرد وسيلة سياسية ،أو أداة دعاية لخدمة توجه معين .

إن الأدب باعتباره إنتاج فني فهو بالضرورة «يؤدي وظيفة فكرية اجتماعية ، وأي عمل فني هام يشتغل كوسيلة فنية لإدراك الحياة»[2] ومن هنا لا يمكن الفصل بين الأدب الذي يصور فكر مجتمع معين وبين الأيديولوجيا وذلك لارتباط كل منهما بالواقع إذ الأدب

[1] حميد لحميداني النقد الروائي والأيديولوجيا ، المركز الثقافي العربي ، ط1 آب 1990 ،ص:35.

[2] عمر عيلان ، الايديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، مرجع سابق ، ص: 35.

« تمثل جمالي لظواهره وأشخاصه وعلاقاته ، وأحاسيسه ومخفياته»[1] والأيديولوجيا ترتبط ارتباطا مباشرا بالمجتمع إذ تعبر عن فكر ووعي طبقة اجتماعية معينة .

لا يكاد يخلو عمل إبداعي من جملة أفكار تولّد في ترابطها جملة من التصورات المختلفة والتي تكوّن توليفة من الصراعات التي تعبّر عن أيديولوجيات مختلفة مضمّنة في العمل الإبداعي ، هذه التصورات المتناقضة التي يضمّها النص الأدبي تلعب دورا جماليا باعتبارها «عناصر واقعية تدخل إلى النص الروائي كمكوّنات للمحتوى أي كعناصر مؤسّسة للبنية الفنيّة »[2].ومن هنا فحضور الفكرة في العمل الأدبي لا يقل أهمية عن حضور بقية العناصر الفنية والجمالية المكونة للعمل الأدبي.

تلج الأيديولوجيا النص الأدبي وتعبّر كما يرى **باختين**(**Mikhayiyil Biakhtin**) عن « صوت فردي مخالف لموقف الخصم (.....) وعن هذا الاختلاف الأيديولوجي ينشأ الصراع في الرواية وتصبح الحبكة ممكنة »[3]ومن هنا تمثّل الأيديولوجيا في النصّ الأدبي عنصرا مهما بل رئيسيا في تشكيل وتأسيس العمل الأدبي هذا إلى جانب كونها مكوّنا جماليا إذ تتحول هذه الأخيرة في« يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه الخاص»[4].فيعبر الكاتب من خلالها عن رؤيته لما حوله بطريقة فنية جمالية مجسّدة في العمل الأدبي .

[1] ، حميد لحميداني ، النقد الروائي والايديولوجيا ، مرجع سابق ،ص:97.
[2] المرجع نفسه ، ص:28.
[3] المرجع نفسه ،ص:32.
[4] المرجع نفسه، ص: 33.

يعدّ النص الإبداعي فلكا يعجّ بكمّ من الأيديولوجيات المتصارعة والتي لا تقود القارئ إلى أي منها في حين أنها تتركه « لا هو ميّال إلى هذا الجانب ولا هو ميّال إلى الجانب الآخر (طبعا إذا لم تتحكم في قراءته أغراض أيديولوجية »[1] هذه القراءات المتعددة للنص الأدبي من قرّاء مختلفين تجعل النص الأدبي محلّ خلاف من ناحية التأويل، الذي قد يكون تأويلا خاطئا إذ لكل قارئ تصوّر خاص إن قاس عليه القارئ كان فهمه للنص فهما مغايرا .

تطفو على سطح النص الأدبي مجموعة من الصراعات والتناقضات التي تشكل إيديولوجيات متباينة، تكوّن في مجموعها النص الأدبي هذه الأخيرة تولد من رحمها رؤية جديدة خاصة هي أيديولوجيا الكاتب . والتي تدور في دوامة الصراعات المضمّنة في النص الإبداعي لكنها لا تظهر للقارئ إذ تبقى « خفية تتحرك بسرّية بين الأيديولوجيات المعروضة»[2] داخل النص الإبداعي .

تتعدد رؤى الكتّاب تبعا لانتماءاتهم ومعرفة رؤية الكاتب التي تشكّل مكوّنا من مجموع الرؤى التي تشكّل المشهد الروائي – باعتباره يصوّر صراعا بين إيديولوجيات متباينة – لا يمكن اعتبارها في الحقيقة إلا «طرفا واحدا من حدود الصراع الأيديولوجي ، ولا ينتبه

[1] المرجع السابق ، ص:28 .

[2] حميد لحميداني ، النقد الروائي والأيديولوجيا ، مرجع سابق ،ص:27.

القارئ إلى مشروع الكاتب إلا بعد أن يكون قد انتهى من قراءة العمل »[1] إذ تشكِّل رؤية الكاتب وموقفه الأيديولوجي واحدة من بين الرؤى التي يعج بها النص الأدبي والتي تبقى مضمرة لا يمكن للقارئ الإحاطة بها إلا بعد الانتهاء من قراءة النص الأدبي .

قد يستعصى على القارئ للعمل الأدبي تمييز موقف الكاتب الذي يبدو حياديا وسط كومة من المواقف والرؤى الأيديولوجية المتباينة والتي تبدو في الوقت ذاته « متعادلة القيمة »[2] .فالبحث والاستقصاء ومحاولة استخراج ما يسمى بالمشروع الأيديولوجي للكاتب والوقوف على موقفه ورؤيته – على الرغم من صعوبتها – يتولّاها النص الأدبي عندما يحوّل أيديولوجية الكاتب ويصوّرها ويكشفها للعيان ،ولا يعني هذا إقصاء دور المتلقي في الوقوف على رؤيا الكاتب الأيديولوجية فالنص الأدبي الذي يستنطقه القارئ يكشف موقف الكاتب « ويجعل ما يخفيه واضحا من انعكاسات فكرية ورؤية فتصبح الأيديولوجيا التي يحملها واضحة رغم وجودها المضمر في النص»[3] ،ومن هنا فالوقوف على موقف الكاتب واستخراجه من بين مجموع المواقف الأيديولوجية المكوّنة للنص ليست بالأمر الهيّن ولا تظهر إلا من خلال الوقوف على مجموع ما أنتج الأديب من أعمال إبداعية تكشف للمطّلع عليها رؤية الكاتب وموقفه من الحياة .

[1] المرجع نفسه ،ص:36.

[2] المرجع السابق ،ص:36.

[3] عمر عيلان ، الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة .، مرجع سابق ،ص:97.

يتضّح مما سبق أن العلاقة بين الأيديولوجيا والأدب على الرغم مما أثارته من جدل واعتبار البعض الأدب الحامل لأفكار أيديولوجية «أدبا فقيرا » [1]واعتبار البعض الآخر العمل الأدبي المتضمّن لأفكار أيديولوجية أدبا سياسيا بحتا ووسيلة دعائية وأداة تعبئة حزبية ؛ إلا أن ضرورة حمل الأدب لفكرة معينة يعطي للأدب دورا ووظيفة ،ذلك أن الأدب يمثّل انعكاسا للمجتمع وأداة للتعبير عن الواقع الإنساني .

أما عن إشكالية التمييز بين الأيديولوجيا داخل العمل الأدبي ،والأدب كأيديولوجيا، فالأولى تتعلّق بجملة الصراعات الموجودة داخل العمل الأدبي في حين تعبّر الثانية عن صوت وموقف الكاتب الأيديولوجي، والذي يظهر من خلال جملة التصوّرات والرؤى المتصارعة داخل العمل الأدبي .

[1] http/www.aljazeera.com ندوة الفضائية حول العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا تاريخ الحلقة 2005/07/12.

الفصل الأول

المجال المفهومي للأيديولوجيا :

1/الأيديولوجيا كعلم للأفكار :

تعبّر الأيديولوجيا عن جملة من الصراعات الموجودة في صميم الحياة الاجتماعية ، والتي تهدف بدورها إلى الوصول «إلى السلطة وترويج الأفكار »[1] ولعل هذا يعدّ من بين أكثر المفاهيم الشائعة عن الأيديولوجيا والتي عادة ما ترتبط في أذهان العامّة بمفاهيم سياسية سلطوية ،و الأيديولوجيا هي التي تحدد «أفكار وأعمال الأفراد والجماعات بكيفية خفية لا واعية»[2] ومن هنا نجد أن الأيديولوجيا تقدِّم صورة عن فكر جماعة ما وعن انتماءها ووعيها وذلك بصورة ضمنية .

تعددت المفاهيم والمصطلحات المرادفة للأيديولوجيـــا من علم للأفكار إلى رؤية للعالم ،وغيرها من مصطلحات وضعها الفلاسفة لتزيل اللبس عن هذا المصطلح ، و يمكن القول أن أوّل ظهور لمصطلح الأيديولوجيا قد ورد في بحث قدّمه الباحث الفرنسي **ديستوت دوتراسي** موضوعه «قدرة التفكير (1796-1797) »[3] وقد تحدّث فيه **دوتراسي** عن مفهوم الأيديولوجيا كعلم للأفكار ، فحسب مدلول اللفظ

[1] جيل فيريول ،معجم مصطلحات علم الاجتماع ،ترجمة أنسام محمد الأسعد ، دار ومكتبة الهلال -بيروت-،ط1، 2011، ص:56.

[2] عبد الله العروي ،مفهوم الأيديو لوجيا ، مرجع سابق ،ص:11.

[3] معجم مصطلحات علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص:104.

«ideo وتعني الفكر logie لوجي وتعني علم إيجاد مبحث يهتم بالأفكار ،ويدرسها وفق قوانين علمية تجريبية غير تجريدية »[1] .

يعد الباحث الفرنسي **ديستوت دوتراسي** من بين المتأثرين بفلسفة الإنجليزي « **كوندياك** (1715-1780) »[2]والذي يردّ كل المعارف و الإدراكات إلى أصول حسّية ذلك أن فلسفته تستبعد كلّ التصوّرات الميتافيزيقية أو تلك المنبعثة من الانفعالات النّفسانية والحالات اللاواعية ، ويرى **دوتراسي** أن الأيديولوجيا في معناها العام علم أفكار ؛الذي يربطه بالوعي إذ يعرّفه بأنّه « علم حالات الوعي »[3]وهذا ينمّ عن التوجّه العقلاني للباحث .

وقد ورد مصطلح الأيديولوجيا في قاموس أكسفورد الإنجليزي في حين لم يعرّف قاموس **ـ لاروس ـ** الفرنسي في القرنين 19 و20 هذا المصطلح ، وقد عرّف قاموس **ـ أكسفورد ـ** الإنجليزي الأيديولوجيا بأنها «نظام أو منظومة (system) منهجية للأفكار تتصل عامة بالسياسة أو المجتمع ، وبسلوك طبقة أو جماعة »[4] ومن هنا يحيلنا تعريف أكسفورد للأيديولوجيا إلى الارتباط الوثيق لهذه الأخيرة بعلم الأفكار باعتبارها نظاما من الأفكار تصور وعي وسلوك جماعة ما داخل مجتمع معين .

[1] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، مرجع سابق ،ص:12.

[2] رمضان الصّباغ ، الفن والأيديولوجيا ،مرجع سابق ،ص:10.

[3]. المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

هذا وقد ورد لفظ أيديولوجيا أيضا في قاموس ـ **كاسيل** ـ والذي عرّفه هو الآخر بـ «علم الأفكار »[1] وهو ذات التعريف الذي ذهب إليه **دوتراسي** أي دراسة الفكر الإنساني ، وبالتالي آليات التفكير البشري ويرى **عبد الله العروي** أن برنامج علم الأفكار يقوم في الأساس على قضيتين « كيف نفكّر تفكيرا سليما ؟(.....) كيف تؤثّر في أذهاننا الأفكار المجهولة الأصل ؟»[2]وتهدف القضية الأولى في رأي **العروي** إلى إصلاح المنطق وتقويمه .أما الثانية فتهدف إلى تحرير المجتمع من قيود النموذج وسلطة الموروث التي ليس لها أصل عقلي .

يربط **دوتراسي** الأيديولوجيا بوصفها علما للأفكار بالوعي الإنساني فيرى أن «كلمة أيديولوجية تستبعد كل ما هو شكي ومجهول ، ولا تستدعي في الذهن أي فكرة خاطئة وغامضة »[3]وينمّ قول **دوتراسي** عن ضرورة ربط علم الأفكار (الأيديولوجيا) بحالات الوعي الإنساني ورفضه لمجموعة الأفكار المنبثقة عن الأحاسيس والانفعالات النفسية ،ومناهضة التصوّرات الميتافيزيقية . تبحث الأيديولوجيا بوصفها علما للأفكار في نشأة الأفكار وتطوّرها ،إذ تعمل على تحليل الأفكار المركّبة ومن ثمّ تبسيطها كما تعمل الأيديولوجيا على التمييز بين الأفكار الصحيحة والأوهام ومن ثمّ فإن «بناء الدولة وتربية المجتمع يجب أن تقوم على هذه الأفكار الصحيحة »[4] وهو عين ما دعا

[1] المرجع السابق ، ص:10 .

[2] عبد الله العروي ،مفهوم الأيديولوجيا ،مرجع سابق ،ص:24.

[3] عمر عيلان ، الأديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص:13.

[4] هشام عمر النور ،المثقف والسلطة ،نشرت في 2011/01/22، hona warda.blogspot.com. 2017/03/01 ، 18:18

إليه **العروي** كما ذُكر سابقا من ضرورة إصلاح الفكر الإنساني الذي تنبني عليه المجتمعات.

ترتبط الأيديولوجيا بعلم الأفكار وهذا ما ذهب إليه غير مفكر ، إذ يرى **بندكس** أن ظهور الأيديولوجيا في أوروبا قد تزامن مع سقوط النظام الإقطاعي وظهور ثقافة التّنوع التي « تسمح بتعدد الأفكار والآراء وبالاختلاف في المنظورات ووجهات النظر »[1] على حدّ تعبير **بندكس** فبعد انحسار الفكر الإقطاعي ظهرت ثورات دينية وظهر بعدها الفكر الرومانسي الداعي إلى حرية الفكر .

هذا وقد أجريت عديد الدّراسات النّظرية في ميدان الأيديولوجيا كتلك التي أجراها «**فيرديناند ديموند** »[2] والتي تشير إلى أن جلّ الباحثين في ميدان علم الاجتماع المعاصرين يذهبون إلى أن مصطلح الأيديولوجيا يشير إلى «نسق الأفكار والأحكام الواضحة والمنظّمة بوجه عام ،الذي يقوم بوصف وتفسير وتأويل وتبرير وصنع الجماعة ،أو التجمّع »[3] فالأيديولوجيا ولا بد تعبّر عن مجموع الأفكار والرؤى المرتبطة بمجتمع ما أو بجماعة

معينة ،والتي تبرّر بدورها أفعال وتصرفات تلك الجماعة .

[1] نبيل توفيق السملوطي ،الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية ،دار المطبوعات الجديدة ـ الإسكندرية ـ ،ص:28.

[2] المرجع نفسه ،ص:32.

[3] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

هذا وقد ذهب **ياسبرس** إلى أن الأيديولوجيا إنما تعبّر عن «فكر نفعي هدفه الجوهري خدمة الغاية المراد بلوغها ،عبر وسائط تخفي الحقيقة الموضوعية عن الذات المعتقدة بها ،فتفسّر من خلالها العالم المحيط بها »[1] يفهم من رؤية **ياسبرس** للأيديولوجيا كفكر أنها لا تعدو كونها مجرّد قناع يخفي حقيقة معيّنة حتّى عن حاملي الفكرة الأيديولوجية أنفسهم .

لقد تباينت مواقف الفلاسفة من الأيديولوجيا باعتبارها نظام من الأفكار « تحاول أن تلبس ثوب العقلانية أو المنطقية»[2]وهذا ما ذهب إليه **دوتراسي** عندما أبعد الإيديولوجيا عن الميتافيزيقيات والتصوّرات النفسية ، وهي كذلك عين ما ذهبت إليه مدرسة الأيديولوجيين التي قادها هذا الأخير والذي ينتمي إلى طبقة الفرنسيين المثقّفين ذوو النزعة التنويرية التي ظهرت في فرنسا في القرن 18.

وعلى غرار **دوتراسي** يرى **دوبيران** المنتمي هو الآخر إلى المدرسة الأيديولوجية أن الأيديولوجيا ترتبط بالعلوم ذلك أن هذه الأخيرة « لا تتألف إلا من أفكارنا ومن مختلف علاقات هذه الأفكار»[3] في حين نرى بعض الفلاسفة نحَو منحًى آخر يختلف عن ما رآه **دوتراسي** إذ اعتَبر بعضهم أن الأيديولوجيا لا تعدو كونها نسقا من

[1] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سابق ،ص:15.

[2] نبيل توفيق السملوطي ،الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية ،مرجع سابق ،ص:36.

[3] رمضان الصّبّاغ ، الفن و الأيديولوجيا ،مرجع سابق،ص:11.

فالايديولوجيا في الأساس ما هي إلا مجموعة أفكار تصوّر فكر طائفة اجتماعية معينة . «آراء وأفكار مرتبطة في أساسها بمجموعة أو تشكيلة اجتماعية»[1].

هذه النظرة السلبية تجاه الأيديولوجيا لا تختلف كثيرا عن نظرة **نابليون** إليها فقد عُرف عن **نابليون** موقفه المعادي والاستهجاني تجاه أصحاب المدرسة الأيديولوجية فلم يألو هذا الأخير جهدا في الِانتقاص والحطِّ من قيمتهم ، هذا الموقف المعادي سبّبته الاختلافات في الرّؤى والمصالح ،فأمام طموحات **نابليون** وأطماعه التوسعية وقفت الأفكار الأيديولوجية لـ**ديستوت دوتراسي** وجماعته بما تحمله من برامج إصلاحية وتغييرات جذرية في عديد المؤسسات الهامة في فرنسا كقطاع التعليم .

هذه الأفكار الإصلاحية التي حملتها المدرسة الأيديولوجية في فرنسا رأى فيها **نابليون** خطرا يهدد سلطته وحكمه ،فكان ساخطا معارضا للايديولوجيا بل وقابلها «بواقعية وبراغماتية الحاكم العسكري أو الحاكم الذي يستنبط مواقفه وأفكار وتحاليله من معطيات الواقع الفعلي »[2] فرفض افكارهم جملة وتفصيلا معتبرا إياها سببا في فساد الحكم .

ولم يكتف **نابليون** بمهاجمة الأيديولوجيا والأيديولوجيين واتهامهم بحمل أفكار خطرة تهدد الدولة وكيانها والتي سعى **نابليون** إلى تأسيسها ،بل وقد ردّ سبب هزيمة الفرنسيين في

[1] عمر عيلان ، الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص:14

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

معركة **واترلو** والتي وقعت سنة 1812 إلى ما أسماه «سفسطة الأيديولوجيين» [1] واتهم **نابليون** أصحاب هذه المدرسة بالتأثير في معنويات الفرنسيين وتثبيط عزائمهم رافضا بذلك أفكار هذه الجماعة ومحاربا لها .

2/ المفهوم الفلسفـــي للأيديولوجيا :

يعد مفهوم الأيديولوجيا من أكثر المفاهيم تشعّبا وتعقيدا ،إذ وُظِّف مفهوم الأيديولوجيا ودُرِس في ميادين الفلسفة والفكر أكثر من غيرهما من الميادين ، بيد أن الأيديولوجيا ارتبطت على وجه الخصوص بعلم الاجتماع ،وذلك بسبب صلة الأيديولوجيا الوثيقة بالمجتمع، فالأيديولوجيا بوصفها علما للأفكار « تنطلق من عالم المجتمع » [2]وقد شغلت الفلاسفة ومفكّري علم الاجتماع مذ ظهورها كمصطلح واستخدامها من قبل **دوتراسي** لأول مرة في القرن 18 ،إلى ماحظيت به الأيديولوجيا في الفكر الماركسي .

تشير الأيديولوجيا إلى«الطرائق التي يحيا بها البشر أدوارهم في المجتمع الطبقي وإلى القيم والأفكار والصور التي تربطهم بوظائفهم الاجتماعية»[3]كونها إحدى أهم مكونات

[1] رمضان الصّباغ، الفن والأيديولوجيا ،مرجع سابق ،ص: 11.

[2] يمنى العيد ،تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ،دار الفرابي - بيروت - لبنان،ط1 ،2010،ص:248.

[3] تيري ايجلتون ،والنقد الأيديولوجيا ،ترجمة فخري صالح ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ص:10.

الواقع الاجتماعي ،ترتبط الأيديولوجيا بالوعي الإنساني وتعبِّر كذلك عن التصوّر البشري للعالم والذي يسميه الباحث **لوسيان غولدمان** «رؤية العالم »[1].

ترتبط الأيديولوجيا ارتباطا وثيقا بعلم الاجتماع وهذا ما حذا بعلماء الاجتماع إلى «حتمية الدراسة السوسيولوجية في تحليل الفكر البشري ؛ حيث اتجه علم **اجتماع المعرفة*** في تحديداته لضبط مفهوم الأيديولوجيا إلى حضورها الاجتماعي »[2] ذلك أن الأيديولوجيا تتعدى في مفهومها ارتباطها بالفكر الإنساني إلى صلتها بمجموع القيم والتصوُّرات التي يشكِّلها الإنسان عن العالم ،وكذا مجموع الرؤى التي يقيِّم من خلالها الظواهر المحيطة به بوصفه جزءا من المجتمع .

يعدُّ **كارل مانهايم** من بين علماء الاجتماع الذين نظَّروا للأيديولوجيا وتناولوها بشيء من التفصيل ،إذ فصل هذا الأخير في كتابه محاضرات في (الأيديولوجيا واليوتوبيا) بين الأيديولوجيا والطوباوية وأعطى لكل منهما مفهوما خاصا ، فقدَّم الأيديولوجيا على أنها «نظام من الأفكار و التصوُّرات المرتبطة أساسا بطبقة مسيطرة تعمل وفق مسار يخدم الطبقة الحاكمة ليبرِّر هيمنتها وتسلُّطها»[3] ومن هنا ترتبط الأيديولوجيا عند **مانهايم** بمصالح محضة

---

[1] انريك اندرسون امبرت مناهج النقد الأدبي ، ترجمة الطاهر أحمد المكي ،مكتبة الآداب القاهرة 1969 ،ص:125 .

[2] السعيد العموري ، الكتابة والتشكيل الأيديولوجي في الرواية العربية المعاصرة ـ دراسة نقدية أيديولوجية ــ رسالة دكتوراه بإشراف الطيب بودربالة ،كلية الآداب واللغات ،قسم اللغة العربية 2012 ــ2013 ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،ص:12.

***علم اجتماع المعرفة :هو العلم الذي يدرس المنتوجات الذهنية أو الثقافية كالإيديولوجيات و السياسة و العلم ، و المذاهب الأخلاقيةو القانونية و الأدبية .كما يعد "كارل مانهايم "من أبرز المنظرين في ميدان علم اجتماع المعرفة.**

[3] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، مرجع سابق ،ص:21.

للطبقة الحاكمة ، فأيديولوجيا الطبقة المسيطرة في المجتمع تسعى لتحقيق المنفعة من خلال الحفاظ على مصالحها بغية البقاء والاستمرار .

الأيديولوجيا وباعتبارها تعبيرا عن الوعي الفردي ،ووسيلة للتعبير عن طبقة اجتماعية معينة ،فهي«تعبِّر عن الحالة الطبقية للفرد دون وعي الفرد بها »[1] من خلال هذه المقولة والتي تشخِّص لنا « عمليات تشويهية إخفائية يعبِّر من خلالها الفرد عن حالته دون أن يعلم »[2] فالأيديولوجيا عبارة عن فكر قد يتبناه أفراد المجتمع دون وعي وهذا ما أسماه **كارل ماركس** ـ بالوعي الزائف ـ.

لقد فرَّق **كارل مانهايم** بين الأيديولوجيا والطوباوية باعتبار الأولى معبِّرة عن فكر الطبقة الحاكمة في حين تعبِّر الثانية أي الطوباوية عن فكر و وعي الطبقات المحكومة و هي كما عرَّفها **مانهايم** « نوع من التفكير يتمحور حول تمثُّل المستقبل واستحضاره بكيفية مستمرة "[3] إن ما خص به **مانهايم** الطوباوية من أنها تعبر عن فكر الطبقات المحكومة في المجتمع يضعنا أمام تصور آخر ، وهو مجموع الأفكار التي تمتلكها هذه الطبقات والتي تخوِّلها هي الأخرى للدخول في صراع مع طبقات أخرى من أجل « تحقيق أحلامها في الصعود إلى سدَّة السلطة »[4] .

---

[1] بول ريكور ،محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا ،ترجمة فلاح رحيم ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1،2002 ،ص:47.

[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[3] عبد الله العروي ،مفهوم الأيديولوجيا ،مرجع سابق ،ص: 47 .

[4] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص:22

إن مفهومي الأيديولوجيا والطوباوية وعلاقتهما المتنافرة كما صورهما **كارل مانهايم** وارتباط الأولى بالطبقة الحاكمة والثانية بالطبقة المحكومة يصبغ كلا من الأيديولوجيا والطوباوية بالنزعة الذاتية باعتبار أن كلا المفهومين مرتبط بتصور طبقة اجتماعية معينة ،هذه الأخيرة ولا بد هي في صراع دائم مع غيره ا من الطبقات من أجل الوصول إلى أهداف معينة وتحقيق تطلعات محددة ،ذلك أن الأيديولوجيا والطوباوية تعبِّران بالضرورة عن الطبقية داخل أي مجتمع .

لقد قدَّم **كارل مانهايم** تصورا آخر مخالفا للأيديولوجيا متجاوزا المصالح الطبقية ،والمنفعة التي تسعى الأيديولوجيا إلى تحقيقها من خلال نظرتها الأحادية ،وهي أيديولوجيا مخالفة تتسم بطابع الشمولية تتبناها فئة معيَّنة من المجتمع ،تعدُّ فئة مستنيرة ،من حيث أنها تمتلك «نظرة عامة وكلية لبنية المجتمع ، وتطوره الفكري والمعرفي إنها رؤية العالم »[1] كما يسميها **لوسيان غولدمان** ، وتعتمد هذه الفئة الموازنة والمقارنة والاستقصاء في نظرتها لبقية الأيديولوجيات وتسمى هذه الفئة ‹ الأنتلجنسيا › وقد اختارها **مانهايم** بناءا على اعتقاده بأن الأنتلجنسيا «مؤهلة للوعي الأيديولوجي الشمولي »[2]وذلك من أجل تمثيل الرؤية الشمولية ،لكن من ناحية أخرى تعتبر الطبقة التي اختارها **مانهايم** طبقة هشة غير متماسكة

[1] عمر عيلان، الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص:25.

[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

ذلك أنها تعدُّ نقطة التقاء مجموع الأيديولوجيات الاجتماعية وهذا « ما يسمح لبعض أفرادها بامتلاك حرية أكبر للتأمل الموضوعي في الأيديولوجيات »[1].

إن أي نظام فكري داخل أي مجتمع ولا بد يصطبغ بصبغة أيديولوجية أوطوباوية وقد ميَّز **كارل مانهايم** بين الاثنين إذ عرَّف الأيديولوجيا على أنها «التفكير الذي يهدف إلى استمرار الحاضر ونفي بذور التاريخ الموجودة فيه»[2] في حين تعبِّر الطوباوية عن الفئة المحكومة لكنها تغدو أيديولوجيا في حالة نزوعها نحو السلطة ،فما إن تصل الطبقات المحكومة إلى السلطة حتى تغدو هي الأخرى أيديولوجيا مشبعة .

تعدُّ اليوتوبيا في نظر **مانهايم** مجموعة من« الأفكار التي تتولَّد داخل المجتمع وتسعى إلى تغييره »[3] وبالتالي تعبِّر عن وعي طبقة اجتماعية معينة وتسعى في ذات الوقت لتحقيق أهداف معينة وهي تعبِّر عن آمال المجتمع وتطلُّعاته التي لا تتحقق إلا بالثورة ،إذ يرى **مانهايم** في اليوتوبيا « المحرِّك الأساسي للتغيير الاجتماعي والتحوُّل التاريخي »[4] وفي ذات الوقت ينظر إلى الأيديولوجيا بوصفها «أنظمة فكرية ثابتة ودفاعية» [5] فالأيديولوجيا في نظره نسق من الأفكار هدفه الرئيس الدفاع عن الوضع القائم في المجتمع وكذا الدفاع عن مصالح الفئات الحاكمة في المجتمع .

---

[1] حميد الحميداني ،النقد الروائي والأيديولوجيا ،مرجع سابق ,ص:20.

[2] عبد الله العروي ،مفهوم الأيديولوجيا ،مرجع سابق ،ص،47.

[3] نبيل توفيق السملوطي ،الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية ،مرجع سابق ،ص:31.

[4] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[5] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

ويرى **و. ج.توماس** بأن الأيديولوجيا لا تعدو كونها « تحديد الموقف » [1] ويعني بذلك الطريقة أو الأسلوب الذي يسعى من خلاله حاملو الفكرة الأيديولوجية لإظهاره وتوضيحه أو تفسيره ،فالأيديولوجيا كمفهوم تشير إلى مجموعة من الأفكار والقيم ،هذه الأفكار الأيديولوجية يرى فيها **فيرديناند ديوموند** مبرِّرا «لرؤية العالم » [2] ذلك أن الأيديولوجيا تدفع حامليها والمؤمنين بها إلى العمل بل وتوجِّههم نحو سلوكات معيَّنة وذلك بهدف تحقيق تطلُّعاتها وغاياتها .

على غرار **مانهايم** الذي عرَّف الأيديولوجيا ـ وخصَّص لها كتابا فصَّل فيه الحديث عنها وفصل فيه بين المفهومين الأيديولوجيا والطوباوية ـ عرَّف **كلاوس ميللر** الأيديولوجيا على أنها « أنظمة اعتقاد متكاملة تكفل تفسيرات للواقع السياسي ،تؤسس أهدافا جمعية لطبقة وجماعة أو للمجتمع ككل في حالة الأيديولوجيا المسيطرة» [3]،يُفهَم من هذا أن الأيديولوجيا تتجاوز بهذا المفهوم الفكرة إلى النظام المرتبط بالسياسة ،وبالمجتمع وثقافته ،كونها نظام فكري له أهداف معيَّنة يسعى إلى تحقيقها من خلال الأفراد الحاملين لهذه الفكرة والمنتمين لهذه الأيديولوجيا .

[1] المرجع السابق ص: 32.

[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[3] سليم بتقة ،البعد الأيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب ،مرجع سابق ،ص:27.

ونجد المنظِّر الشيوعي والسياسي الإيطالي **أنطونيو غرامشي** يربط الأيديولوجيا بمختلف تمظهرارت الحياة الاجتماعية ،إذ تمحور مفهومها عنده واتصل بالثقافة والاقتصاد والقانون

فعرَّفها على أنها «تصوُّر للعالم يتجلى ضمنيا في الفن والقانون ،والنشاط الاقتصادي،وفي جميع تمظهرات الحياة الفردية والجماعية »[1] فالأيديولوجيا حسب تعريف **غرامشي** لها؛ تتجلى و تتمظهر من خلال مختلف العلائق التي تربط الإنسان بمحيطه ومجتمعه إن سياسيا أو اقتصاديا أو فنيا أو فكريا ...

الأيديولوجيا وباعتبارها مجموعة من الأفكار والتصوُّرات التي يؤمن بها أفراد المجتمع فهي ولا بد تؤثِّر في رؤيتهم للعالم وتصوُّراتهم المستقبلية ،تلك الأفكار التي قد تكون مبنية على تجاربه الحياتية الماضية ،وفي هذا الصَّدد يرى **رييس** أن «الالتزام بأفكار معيَّنة يمكن أن يحدث تحوُّلات في حياة الفرد »[2] تلك التحولات التي تمتدُّ ولا بد لتؤثِّر هي الأخرى في حياة المحيطين بذات الفرد .

وعلى غرار **كارل مانهايم** وغيره من المفكِّرين والفلاسفة الذين حاولوا وضع تصوُّرات محددة للأيديولوجيا قدَّم الباحث والنَّاقد **لوسيان غولدمان** هو الآخر تصوُّره للأيديولوجيا بوصفها رؤية للعالم إلا أنه لم يضع مفهوما محدَّدا ومضبوطا للأيديولوجيا ،وإنما عمِد إلى

[1] سليم بتقة ،البعد الأيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب ،مرجع سابق ،ص:26.

[2] نبيل توفيق السملوطي ،الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية ،مرجع سابق ،40.

وضع حدود فاصلة بين كلا المصطلحين منطلقا في مفهومه الذي وضعه ـ رؤية العالم ـ من فكرة الوعي التاريخي للذات .

وقد قدَّم **لوسيان غولدمان** رؤية العالم كمكافئ للأيديولوجيا على أنها «شكل العنصر الأساسي الملموس للظاهرة التي يصفها علماء الاجتماع منذ عشرات السنين بمصطلح الوعي الجماعي وبالتحديد فهي مجموعة التطلُّعات والعواطف والأفكار التي توحد أفراد المجموعة أو الطبقة في مواجهة مجموعات أخرى»[1] . ومن هذا التعريف يتَّضح ربط **لوسيان غولدمان** رؤيته للعالم بالمصالح الجماعية والطبقية ،وهو يحاول أن يظهر رؤية العالم على أنها تمثِّل بالفعل ذلك التصوُّر الكلي الشمولي للواقع الذي ظهرت فيه ،وهذا ما ذهب إليه الباحث **ديوموند** من أن الأيديولوجيا « تبرير معين لرؤية معينة للعالم أو لنسق معين من القيم»[2] .

يفرِّق **لوسيان غولدمان** بين الأيديولوجيا التي حصرها في رؤى جزئية ضيِّقة مرتبطة بطبقة واحدة ،تفتقد إلى تطلُّعات مستقبلية ،في حين رأى في الرؤية الكونية تصورا كاملا للواقع الذي ظهرت فيه ،بيد أن رؤية العالم في نظر بعض النقاد ذات قيمة « منحصرة في التصوُّر الحضاري العام للمجتمع الذي تعيش فيه وهي كذلك تبقى ذات طابع نسبي»[3] فهي تقترب من الأيديولوجيا التي حصرها **غولدمان** في أنها« تتعمق في طبقة واحدة ولا تملك

[1] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سابق ،ص:27.

[2] نبيل توفيق السملوطي ،الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية ،مرجع سابق،ص:32

[3] ، عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سابق ص:29.

آفاق متبصِّرة رحبة تتجاوز المصالح الأنانية والفئوية والطبقية والأوهام التي كوَّنتها عن نفسها »[1] ومن هنا فإن الأيديولوجيا ترتبط بوعي طبقة اجتماعية واحدة واعتبار **غولدمان** الأيديولوجيا ـ كرؤية للعالم ـ تصورا شاملا للواقع لا يمكن القول به كما يرى **عمر عيلان** الذي اعتبرها ذات طابع نسبي كونها مقتصرة على« التصوُّر الحضاري للمجتمع الذي نشأت فيه »[2] .

ترتبط الأيديولوجيا بالمجتمع وتعد إحدى مكونات الثقافة فيه وبالتالي تفسر الأيديولوجيا وتحدِّد سلوك أفراد المجتمع باعتبارها «جوهر الثقافة »[3].كما يرى **ديوموند** ، وطبيعة الأيديولوجيا تجعل منها « تشكلا من المظاهر الجماعية التي تتحدد من خلالها مجموعة اجتماعية ، فتستمد خصوصيتها وتتميز عن الآخرين من خلال المعارف والمعتقدات والصور والرموز والممارسات»[4] .كل تلك الثيمات التي تعد القاسم المشترك بين أفراد تلك الفئة ، تبني جسورا من التواصل وتخلق شعورا بالانتماء لدى أفراد المجموعة .

تحدد الأيديولوجيا لكل فرد في المجتمع طبيعة انتماءه إلى جماعة معينة وفي هذا السياق يقدم **لوسيان غولدمان** أو يوضح طبيعة علاقة وعي الطبقات الاجتماعية إذ ردَّ **غولدمان** البنى التحتية للفلسفة والفكر والعمل الأدبي للطبقات الاجتماعية وعلاقتها بالمجتمع فيرى أن

[1] المرجع السابق ،ص:28.

[2] المرجع نفسه ،ص:29.

[3] نبيل توفيق السملوطي ،الأيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية ،مرجع سابق،ص:33.

[4] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سابق ،ص:29.

«الحد الأقصى من الوعي الممكن لدى طبقة اجتماعية معينة يشكِّل دائما رؤية للعالم متماسكة نفسيا لا تستطيع أن تعبِر عن نفسها على الصعيد الديني أو الفلسفي أو الأدبي أو الفني »[1] .

ويبقى الفرق بين الأيديولوجيا ورؤية العالم في الأهداف ونمط الممارسة الفكرية :

[2]	الممارسة الفكرية	الأهداف
الأيديولوجيا	غلبة الوهمي على الحقيقي	نفعية
رؤية العالم	وصفية	معرفية

من خلال الجدول نجد أن الأيديولوجيا ترتبط بالوعي الإنساني وتعبِّر عن فكر طبقة اجتماعية معينة ،وهي تنطلق من مجموع التصورات الذهنية للفرد وهي ذات صبغة وهمية تسعى تلك التصورات التي تشكِّل أيديولوجيا طبقة معينة من المجتمع إلى تحقيق جملة من الأهداف والتطلعات وبالتالي ترتبط الأيديولوجيا بالمنفعة ، في حين تعمل الأيديولوجيا بوصفها رؤية للعالم على استيعاب التصورات الموجودة في الواقع، وهي تختلف عن

[1] المرجع السابق ،ص:30 .

[2] حميد الحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا،مرجع سابق ،ص:23.

الأيديولوجيا ذات المصالح النفعية في أنها توجه الفكر« إلى مجال تفكير تكون فيه المقاصد المعرفية غالبة في التحليل»[1] حسب رأي **كارل مانهايم**.

3/الأيديولوجيا في الفكر الماركســـــي :

لقد تعددت تعريفات الفلاسفة والمفكِّرين للأيديولوجيا منذ ظهور المصطلح على يد **ديستوت دوتراسي** باعتبارها علمًا للأفكار ،وصولا إلى مفهوم الأيديولوجيا عند الباحث الألماني **كارل ماركس** والتي ربطها هذا الأخير بالوعي الزائف« لم تكن أفكار **ماركس** أكثر راهنية مما هي عليه اليوم ، يتضّح هذا في التعطُّش الكبير للنظرية الماركسية الذي نشهده في الوقت الحاضر »[2] لقد دعا **كارل ماركس** إلى تحرير الإنسان من جملة الأفكار و التصوُّرات الخاطئة عن النفس البشرية حين قال: «فلنعلِّم البشر أن يستبدلوا هذه الأوهام بأفكار تقابل ماهية الإنسان»[3] .لقد بط **كارل ماركس** الأيديولوجيا بالوهم و هي ليست أكثر من أفكار مغلوطة واعتبر أن الأيديولوجيا في المجتمع هي أيديولوجيا الطبقات الحاكمة ،والتي تسيطر على المجتمع لقد شكَّل الفكر الماركسي ثورة فكرية عندما وضع «حدًّا للأفكار الاشتراكية الديمقراطية وتيَّاراتها »[4] .

---

[1] المرجع السابق ،ص:23.

[2] htt://www.marxist.com-Wednesday26Novembre2014

Alan Woods، راهنية أفكار ماركس ،

[3] كارل ماركس ،الأيديولوجيا الألمانية ،ترجمة فؤاد أيوب ،دار دمشق ،ط1 1976،ص:19

[4] جورج لوكاتش ،نظرية الرواية وتطورها ،ترجمة نزيه شوقي ،ص:5.

يعدُّ الباحث الألماني **كارل ماركس** من بين الباحثين الأوائل الذين وظَّفوا مصطلح الأيديولوجيا في ميدان علم الاجتماع ، من خلال ربط الأفكار بسيرورة الحياة الاجتماعية **فكارل ماركس** يرى أن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ما هي إلا نتيجة لاحتكاك أفراد المجتمع بعضهم ببعض.

يعرِّف **ماركس** الأيديولوجيا بأنها« انعكاس مقلوب ومشوَّه وجزئي ومبتور للواقع ،وهي بذلك تعارض الوعي الإنساني الحقيقي »[1] .وبالتالي فهي لا تعبِّر عن الواقع الحقيقي المعاش بقدر ما تخدم مصالح فئات معينة من المجتمع .

لقد اعتبرت الماركسية الأيديولوجيا مجرَّد وهم ونعتتها ‹ بالوعي الزائف › وهو عين ما أكَّده **فريدريك أنجلز** صديق **ماركس** الذي رأى في الأيديولوجيا هو الآخر وعيا زائفا فعرَّفها بأنَّها « عملية يمارسها المفكِّر المدَّعي بوعي زائف ،فالقوى الحقيقية التي تحرِّكه تبقى مجهولة لديه »[2] وهنا فصل **أنجلز** بين الأيديولوجيا ـ بوصفها نتاج عملية ذهنية غير واعية من قبل الأفراد كونها مجرَد وهم وتبنِّي أفراد المجتمع لأيديولوجيا معينة وانتمائهم لفكر معين يخضع لمنطق السلطة إذ تسعى أيديولوجيا الطبقة المسيطرة في المجتمع لفرض سلطتها على حساب غيرها من الأيديولوجيات داخل المجتمع ــ وبين الأيديولوجيا باعتبارها تعبيرا عن الواقع الحقيقي هذا من حيث الممارسة الفكرية.

[1] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص:16.

[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

يختلف المفهوم الذي وضعه **كارل ماركس** للأيديولوجيا مع تعريف الباحث **ياسبريس** لها ،إذ ربط **كارل ماركس** الأيديولوجيا بالجانب السياسي والقانوني والفكري وكذا وعي الأفراد بما يحيط مجتمعاتهم وعلاقتهم هم أنفسهم بها ، ومن هنا يظهر كلٌ من القانون والسياسة والدين والفن كجزء من الأيديولوجيا « عبر الصراع بين الطبقات فالطبقة المسيطرة في المجتمع تسعى لفرض أفكارها واستقطاب أشكال التفكير في المجتمع »[1] .ذلك أن الطبقات الحاكمة دائما هي المسيطرة ليس من الناحية المادية فحسب بل من الناحية الفكرية أيضا ،فتتحول الهيمنة الماديَّة إلى هيمنة عقلية .

كما ربط **كارل ماركس** « النشاط الفكري والوعي بالنشاط الاجتماعي والاقتصادي ،فالنشاط الاقتصادي ليس نشاطا فرديا بقدر ما هو عمل جماعي »[2] .ذلك أن الفرد والمجتمع يعبِّران عن لحمة متكاملة، إذ تنبع الأفكار والتصوُّرات من المجتمع المكوَّن بدوره من مجموعة علائق تربط الأفراد ببيئتهم ويردُّ **كارل ماركس** تصوُّرات وأفكار المجتمع إلى علاقة الفرد بوسائل الإنتاج والتي عليها تتوزع طبقات المجتمع ومجموع أفكاره .

كما يرى **كارل ماركس** أن نمط إنتاج الحياة المادية يتحكم في مجرى الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية عامة ،فليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم بل إن وجودهم

[1] المرجع السابق ،ص:17.

[2] عمر عيلان، الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص18.

الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم ،وهنا ربط **ماركس** بين الأيديولوجيا والنشاط الاقتصادي والمادي للأفراد وبين مجموع الأفكار والمعتقدات الخاصة بهم .

يرى **كارل ماركس** أن تصوُّرات الأفراد وأفكارهم ومفاهيمهم لا يمكن فصلها عن العلاقات المادية للإنسان إذ عادة ما تتحكم القوة المادية في المجتمع ،إذ يتداخل الاثنان فالأيديولوجيا عند **ماركس** لا تعدو كونها « نسقا من التمثُّلات الاقتصادية و الاجتماعية والفكرية (....) هذه التمثلات تشكِّل النسق الأيديولوجي الذي يظهر على شكل صراعات بين الطبقات الاجتماعية »[1]فكارل ماركس هنا يردُّ كل تصوُّرات العقل البشري إلى الحياة المادية ، وهو ينفي عن الأيديولوجيا امتلاكها لتاريخ خاص أو تطور خاص كونها في نظره خاضعة للبشر « الذين ينتجونها فليس الوعي هو الذي يحدِّد الوجود بل العكس ،الوجود هو الذي يحدد الوعي »[2] .

كما يرى **كارل ماركس** أن« نمط إنتاج le mode de production الحياة المادية يشترط العمليات الاجتماعية والسياسية والفكرية على وجه العموم ....فليس وعي الناس هو الذي يحدِّد وجودهم ،بل بالعكس إن وجودهم الاجتماعي présence sociale هو الذي يحدِّد وعيهم »[3] ومن هنا يشترط كارل ماركس ، تلك البنية الاقتصادية

[1] سليم بركان ،النسق الأيديولوجي وبنية الخطاب الروائي ـ دراسة سوسيوبنائية لرواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،مذكرة ماجستير ، بإشراف عبد الحميد بورايو ،كلية الآداب واللغات ،قسم اللغة العربية ،2003 ـ2004 جامعة الجزائر ،ص:14 .

[2] رمضان الصباغ ، الفن و الأيديولوجيا ، مرجع سابق ،ص:13 .

[3] المرجع نفسه ،ص:15 .

والسياسية والقانونية التي ينشأ فوقها .الوعي الفردي ، ويرى ماركس أن كلَّ أيديولوجية مكوَّنة من مجموعة أفكار لكن هذه الأخيرة لا تشكِّل بالضرورة أيديولوجيا وقد حدَّد ماركس وظيفة الأفكار كما يلي :

«1- المادية التاريخية تفسِّر تكوين الأفكار في الممارسة المادية .

2- أفكار الطبقة المسيطرة ،هي الأفكار المسيطرة في كل عصر .

3- يجب تفسير الوعي خلال تناقضات الحياة المادية . »[1]

يعتبر **كارل ماركس** أن أيديولوجيا الفئة الحاكمة هي التي تسيطر على غيرها من الأيديولوجيات في أي مجتمع وذلك يعود إلى العنصر المادي إذ تكون السيادة للطبقة التي تملك القوة المادية .

[1] المرجع السابق ،ص:13.

الفصل الثـــاني

البعد الأيديولوجي في رواية الورم :

1/الرؤية الأيديولوجية من خلال (العنوان–المتن–الانتماء).

1–1 من خلال العنوان :يعتبر العنوان من أهم العناصر المكونة للعمل الإبداعي باعتباره المدخل الرئيس الذي يلج من خلاله القارئ العملَ الأدبي ،فهو عتبة النَّص وبدايته ،وهو «كذلك من العناصر المجاورة والمحيطة بالنص الرئيس إلى جانب الحواشي والهوامش والمقتبسات والأدلة الأيقونية »[1]. وهو من وجهة نظر النقاد مفتاح النص الذي يغوص من خلاله القارئ في عوالم العمل الإبداعي ذلك أن العنوان يكشف ما خفي من عوالم النص .

يشكِّل النص علامة و وإشارة من إشارات النص وعليه يعتمد القارئ ليحل ألغاز النص ، وهو أول ما تقع عليه عينا القارئ ،وكونه بداية النص فإن المؤلِّف يبذل فيه جهدا لا يقلّ عن جهد الكتابة ويتطلب انتقاءه وصياغته تأنيًّا وجهدا مضاعفا لأنه مرآة النص لذا يأخذ العنوان وظيفة إعلامية إشهارية تستقطب القرَّاء والمتلقِّين لذا على المؤلِّف أن يراعي سمات معينة في عنوانه يغري بها القارئ ويجذبه نحو النص ليحاول ولوجه وللعنوان وظائف أخرى كـ:«الوظيفة الأيديولوجية ،ووظيفة التسمية ،ووظيفة التعيين ،والوظيفة الأيقونية /البصرية ،والوظيفة الموضوعاتية والوظيفة التأثيرية ، والوظيفة الإيحائية ووظيفة الاتساق

[1] معتصم الحارث الضوى،مقاربة العنوان في النص www.globalarabnetwork.com/tusday2janaury.2009 ،2017/04/26،الساعة 22:22 .

والانسجام والوظيفة التأويلية والوظيفة الدلالية أو المدلولية ،والوظيفة اللسانية و السيميائية ..»[1]

إن العنوان وباعتباره جزءا لا يتجزأ من النص ؛يأسر القارئ قبل وُلُوجِه إلى العمل الإبداعي وإن لفترة من الزَّمن ذلك أن العنوان يوجِّه القارئ ويعطيه صورة وإن جزئية عن فحوى النص ، وهو أوَّلا وأخيرا جزء من النَّص لا النص كله ،وبالتالي« بنية صغرى لا تعمل باستقلال تام عن البنية الكبيرة التي هي النص المنضوي تحت العنوان»[2].

وعند العودة إلى روايات **محمد ساري** أول ما يلاحظ عليها أنها ذات عناوين قصيرة : **السفير** ،**المتاهة** ،**البطاقة السحرية** ،**الغيث** ،**الورم** وهي الرواية محل الدراسة ، وقد تصدَّر العنوان غلاف الصفحة الأولى بالخطِّ العريض وجاءت تحته مفردة ‹**رواية**›بالخطِّ الصغير لتبيِّن نوع الجنس الأدبي وذلك تأكيدا على احترام هذا العمل الإبداعي لخصائص هذا الجنس الروائي .

و**الورم** لفظة مفردة ذات صورة رمزية معقَّدة لا تنبئ عن حقيقة ،وهو عنوان غير واضح المعالم ،ذو بعد إيحائي يحتاج إلى التأويل ،وهو كذلك ذو معنى متضمَّن وذو دلالة رمزية ولفظة **الورم** مشتقة من الفرنسية القديمة **Tumeur** وتعني تورم وهو مصطلح عادة

[1] المرجع السابق.

[2] محمد صالح خرفي ،البعد الديني والأيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة ،روايات الطاهر وطَّار أنموذجا مقال منشور بمجلة قراءات بسكرة ، العدد الخامس سنة 2013،ص:47 .

ما يُستخدم في الجانب الطِّبي و **الورم** بالإنجليزية (**Neoplasia**) وهو اسم للتورم أو للآفة التي يشكِّله النمو غير الطبيعي للخلايا وتسمى **الورم** .

إن عنوان أي نص روائي يعتبر«أوَّل مفتاح إجرائي نفتح به مغالق النصوص ،كونه علامة سيميوطيقية ،تضمن لنا تفكيك النص وضبط انسجامه ،فهو المحور الذي يتوالد و يتنامى ويعيد إنتاج نفسه »[1] .وعنوان رواية الورم لمحمد ساري يحمل من الأبعاد الدلالية ما يستوقف القارئ والنَّاظر إليه ،رغم بعده عن معناه ومفهومه اللفظي الحقيقي ،إنه عنوان استفزازي يثير فضول القارئ ويجعله يتوه في دهاليز التفسير والتأويل ،ويجعله توَّاقا لمعرفة مدى مناسبة هذا العنوان لفحوى النَّص ومحتوى الرواية .

وفي رواية **الورم** اختار محمد ساري هذا العنوان الذي يحمل دلالة رمزية إيحائية ،وهو غير المفهوم الطبي الذي ذُكِر من قبل وإنما استعمله الكاتب كرمز إيحائي ،فالورم الذي يعبِّر بالمعنى الحرفي عن الدَّاء المستشري بصورة غير طبيعية في الجسد ،هو في رواية الورم يعبِّر عن الفكر التطرُّفي الذي استشرى وانتشر بصورة غير طبيعية في الجسد الجزائري في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر ، فعقب استقلال ففي العشرية الثالثة بعد الاستقلال مرّت الجزائر **بأزمة سياسية*** كادت أن تودي بالدولة الجزائرية وشعبها إلى حافَّة حرب أهلية ،وهذا ما دفع بثلَّة

[1] سليم بركان ،النسق الأيديولوجي وبنية الخطاب الرِّوائي ،مرجع سابق ،ص:48.

*بعد نجاح الحزب الإسلامي في الانتخابات التشريعية الجزائرية عام 1991 أقيلت الحكومة التي مثَّلت الحزب الإسلامي ،وأعلنت حالة الطَّوارئ وأميط بالجيش مهمة تسيير البلاد وهذا ما رفضه مناضلو الحزب الإسلامي الذين أعلنوا العصيان المدني فصعد الكثير من الشباب الرافضين للانقلاب إلى الجبال مشكلين جماعات مسلَّحة معلنين محاربة الدولة في محاولة لإقامة الدَّولة الإسلامية .

ليست بالقليلة من الشَّباب المنتمي إلى الحزب الإسلامي إلى للصعود إلى الجبل وتشكيل جماعات مسلَّحة لمحاربة الدولة في محاولة منهم لإسقاط النَّظام الذي كان سائدا .

يحمل عنوان هذا النص الروائي **الورم** الذي بين أيدينا دلالات عدة إذ يتصدر نصا زاخرا بالصراعات الإيديولوجية والفكرية، فأمام جملة الظروف الاجتماعية والسياسية السيئة التي كانت سائدة في تلك الفترة ،وأمام حالة الفقر التي كانت تعيشها الطبقة العاملة في المجتمع الجزائري وأمام حالة الانفلات الأمني انتشرت الجماعات المسلَّحة التي كانت تسعى لفرض أيديولوجيتها المتطرِّفة في محاولة منها لدحض إيديولوجيا الدولة بشتى السبل، وفرض أفكارها على المجتمع ونشرها .

وفي الرواية بين الكاتب انتشار الفكر الإسلامي المتشدد الداعي إلى الجهاد وإقامة الدولة الإسلامية كالورم في المجتمع الجزائري ففي قرية **وادي الرمَّان** صوَّر الكاتب الصراع الإيديولوجي بين الدولة والجماعة المسلحة التي تحمل إيديولوجيا متطرِّفة تسعى لنشرها في وسط الشباب تلك الإيديولوجيا التي رضخ لها كلٌّ من **كريم** المعلِّم المثقَّف ورضخ لها **عبد النور** (القهوجي) كما رضخ أمامها علي شقيق كريم الذي كان في سلك العسكر وكان احد أهداف الجماعة رضخ هؤلاء طواعية للفكر المتطرف لهذه الجماعة .

1-2 من خلال المتن :

1-2-1 الحدث: تدور أحداث رواية الورم حول جملة من الصراعات التي كانت قائمة في قرية وادي الرمّان ، تلك الصِّراعات التي تعددت أشكالها سياسية ودينية وفكرية وما جوَّته على القرية من بؤس وحالة من اللاأمن ،فأمام حالة الفقر والخوف وانعدام الأمن وانتشار البطالة وقفت الجماعة المسلَّحة التي تحصَّنت بالجبال وبالتحديد الجماعة التي يتزعمها يزيد بالمرصاد لكلِّ من تسوِّل له نفسه التعامل مع الدولة أو الوقوف بوجه الجماعة ،والتي فرضت جملة من القوانين تلزم سكان القرية من أجل إقامة الدولة الإسلامية والانتصار على«سلطة الطَّاغوت والكفر واللصوص»[1]كما تسمِّيها جماعة يزيد.

تزخر رواية الورم بجملة من الأحداث التي كانت نتيجة للصراع بين جماعة يزيد المسلَّحة من جهة، وبين الأمن الممثَّل في وحدة الدرك التابعة لثرية وادي الرمان من جهة أخرى ،ذلك الصِّراع الذي يجسِّد ويعبِّر عن«أتون المحنة الجزائرية وما عرفته من حرب شرسة »[2].تجري معظم أحداث رواية الورم في قرية تسمَّى وادي الرمان وما جاورها من أحراش ، ويمثِّل الصِّراع بين جماعة يزيد من جهة والدرك التابع لقرية وادي الرمان من جهة أخرى العقدة الأساسية للرواية ويمكن تجزئة الأحداث في الرواية على مراحل :

[1] محمد ساري ، رواية الورم ،منشورات الاختلاف ،ط2002،1،ص:89.

[2] بشير مفتي ،الغيث رواية للكاتب محمد ساري ،تحولات العنف الجزائري ماضيا وواقعا . daharchives.alhayat.com/24/06/2007

م1-محاولة فرض إديولوجيا الجماعة على سكان القرية :

وذلك من خلال القيام بأعمال من شأنها أن تكون وسيلة ضغط تجبر سكان القرية على الانصياع إلى جماعة يزيد، وترهبهم في ذات الوقت وتقطع أمامهم كل محاولة للتعامل مع الدرك أو مجرَد الهمس بولائهم للدولة، بدءا بقتل يزيد لحرش لابن عمه الذي كان رئيسا لبلدية وادي الرمان بعد أن أرسل له رسالة تهديد يطلب منه فيها الاستقالة من منصبه وفي أول لقاء له مع يزيد :«- أين أنت يا يزيد ؟لم تعد تظهر في وادي الرمان ،كأنك سافرت إلى الخارج ؟

-لا ،هنا يموت قاسي....حذَّرتك ولم تسمع النصيحة ،لقد استوليت على حقٍّ ليس لك ،فحان وقت العقاب يا خائن ،يا عميل الطاغوت ....

و ببرودة أعصاب عجيبة أخرج 'يزيد لحرش' محشوشة من 'جاكتته' وأطلق رصاصتين على مستوى صدر ابن عمِّه ،فصاح المسكين صيحة مخنوقة وسقط أرضا »[1] لم تتوقف أعمال جماعة يزيد عند هذا الحد، وإنما عمِد 'يزيد' الى صديقه 'كريم'دافعا إياه لقتل الصحفي 'محمد يوسفي ' وهو صديق الاثنين وذلك بتهمة العمل في إحدى مؤسسات الدولة إذ قدم يزيد مسدَّسا لكريم طالبا منه اغتيال الصحفي محمد يوسفي

[1] الرواية ،ص:24.

«مسدَّس أحد الطغاة (.....) يحوي عشر رصاصات تمكنك من التخلُّص من ذلك الصحفي اللعين على أحسن ما يرام القيادة في العاصمة تنتظر هذه العملية بشغف لا نظير له ...» [1]كان العمل في مؤسسات الدولة المسوِّغ الذي اتخذته جماعة يزيد والذريعة التي صوَّغت بها عمليات الاغتيال .

بعد ذلك قامت جماعة يزيد بسرقة سيارة (فورغون) من أحد سكان القرية، واستعملتها في إحراق البلدية بعد أن استدرجت صاحبها الى خارج القرية ،وأجبرته على الرُّضوخ بقوة السلاح طالبة منه العودة الى القرية راجلا وحذرته من إخبار الدرك بسرقة الفرغون «افتح أذنيك واستمع جيدا إلى ما أقول لك ،ستعود الى بيتك وتقضي الليلة كأن شيئا لم يكن ،وغدا صباحا يمكنك إخبار الدرك .قل لهم بأن رجلا ملتحيا لا أعرفه هددني بالمحشوشة وأرغمني على النزول وسرق الفورغون»[2].هذا ما أخبر به يزيد لحرش صاحب الفورغون الذي نفَّذ دون تردُّد أوامر يزيد خوفا على حياته .لتقوم الجماعة بعد ذلك بإحراق دار البلدية في تحدٍّ صارخ للدَّرك ،ومحاولة منهم لتخويف سكان القرية وكسبهم إلى صفِّهم عن طريق تخويفهم .

2/الدخول في صراع مع الدرك من خلال مسلسل الاغتيالات : من أجل تحقيق مصالح نفعية دخلت جماعة يزيد في صراع مع مفرزة الدرك التابعة لقرية وادي الرمان، من

[1] الرواية ،ص:12.
[2] الرواية ،ص:39.

خلال سلسلة من الاغتيالات ،فبعد فراغها من إحراق البلدية شنت الجماعة هجوما على مقر مفرزة الدرك التابعة للقرية ،مستقلين الفورغون المسروقة « وصلنا خبر الحريق وكنا نستعد للخروج وإذ بهؤلاء الإرهابيين يطلقون علينا الرصاص ،هنا في عقر دارنا فاجئونا ولكننا أرغمناهم على الهروب وقد شاهدت بنفسك أثر الرصاص على الفورغون. تركوه على مسافة كيلومترين من وادي الرمان واختفوا في المزارع (.....) قتلوا أخت زوجتي فتاة في الخامسة عشر من عمرها ...»[1] هذا ما أخبر به 'رابح بن سالم 'رئيس مفرزة درك وادي الرمان والد'عبد القادر بن السعيد' صاحب الفورغون وهو يحقق معه .

بعد الهجوم على مركز الدرك التابع لقرية وادي الرمان قامت جماعة يزيد باغتيال الصحفي محمد يوسفي ذبحا، بعد أن استدرجته إلى خارج القرية ليقوم 'يزيد لحرش' بذبحه ...«أمسك الرأس جيدا كي أتمكن من إتقان الذبح .قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح،ودون أن ترتعش يداه مرَّر السكِّين على الرقبة .انفجر الدم بقوة ارتعش الجسد في حركات حادة متتالية ارتفع شخير مخنوق ثم همد الجسد»[2] كان محمد يوسفي احد أهداف الجماعة الذي وجبت تصفيته حسب اعتقادهم محاولة بذلك إيصال رسالتين إلى سكان القرية من خلال إدخال الفزع إلى قلوبهم بسبب طريقة قتل الصحفي اللاإنسانية إذ أن مصير كل من يعمل في مؤسسات الدولة سيكون كمصير الصحفي وأما

[1] الرواية ،ص:98.

[2] الرواية ،ص:98.

رسالتها الثانية فهي زعزعة ثقة الناس في جهاز الأمن الذي تمثله مفرزة الدرك التابعة لقرية وادي الرمان والتي فشلت في حماية الصحفي وتمكنت الجماعة الإسلامية من تصفيته .

بعد الصحفي يوسفي جاء الدور على الدركي 'بلقاسم عرفاوي ' الذي اغتالوه ليلا ظنا منهم انه الدركي 'موح لكحل'الذي أرادوا تصفيته بدافع الانتقام .لم يكن مسلسل الاغتيالات مجرَّد سيناريو لصراع إيديولوجي بين درك قرية وادي الرمان وبين الجماعة الإسلامية المسلحة,إنما أرادت هذه الأخير ضرب جهاز الأمن الذي يمثله درك القرية من خلال تعريته أمام السكان لتفرض نفوذها هي ؛ولسحب ولزعزعة ثقة السكان في الدرك وإقناعهم بعدم جدوى الاحتماء بالأمن ليختل ميزان القوى في القرية ،وتكسب الجماعة المسلحة السكان وتجعلهم في صفها ليتسنى لها تنفيذ عملياتها من خلال تغطية سكان القرية عليها خوفا على أنفسهم من بطش الجماعة .

1-2-2 الزمـــــن:

يلعب الزمن بوصفه أحد الطرفين الأساسيين في الرواية دورا مهما في بناء نسيجها ،والذي يرتبط بشقه الآخر وهو المكان في حين يكمل النص الشق الثالث في الدراسة ،وقد كان للزمن في رواية الورم دوره وأثره في تجسيد الصراع الإيديولوجي فيها .

اتبع الكاتب في رواية الورم تسلسلا زمنيا للأحداث على طول خط الزمن في الحكاية ،معتمدا بشكل كبير على تقنية الاسترجاع من خلال العودة إلى أحداث الماضي ،اعتمادا

على التذكُّر منذ بداية القصة ،عندما استذكر كريم بن محمد طفولته وما عاشه من نعيم فيها قائلا:«أين تلك الأعوام المثمرة التي كنا نتقاذف فيها عناقيد العنب وحبات التشينة و المندارين و الكليمانتين ؟كنا مجموعة أطفال الحي الغربي لا نزال نسميه باسمه القديم **روزو** (.....) يزيد خويا علي عبد القادر....»[1]وهو استرجاع طويل (ص:2-3) .

كما تعج الرواية بمجموعة من الأحداث كثيرا ما استرجعها الكاتب، كمظاهرات أكتوبر الصاخبة سنة 1988 وما تبعها من اعتقالات لعدد كبير من الشباب المشارك فيها استذكرها فريد زيتوني وهو احد مقاتلي جماعة يزيد المسلحة «في ذلك اليوم ذهبت إلى زرالدة مع يزيد وكنا عازمين على المشاركة في المظاهرة (.....) أتذكر بأن مظاهرات ذلك الخامس من أكتوبر اندلعت فجأة ودون سابق إخبار ...»[2].

تدعِّم هذه المقاطع الزمنية المسترجعة والتي انتشرت في أغلب فصول الرواية الثمانية عشر فكرة الصراع الأيديولوجي المجسَّد في الرواية، فمظاهرات أكتوبر وتوقيتها وكذا المقاطع التي تحدَّثت عن أساليب التعذيب التي مورست بحقِّ المعتقلين في الصحراء كما ذكر في الرواية،وكذا الفترة العصيبة التي مر بها كريم في المعتقل التي دامت قرابة السنة ،كلُّها شواهد أذكت فكرة الصراع وغذَّت جذوة الانتقام التي عشَّشت في نفوس شخوص الرواية .

[1] الرواية ،ص:02.

[2] الرواية ،ص:129.

إن كثرة الاسترجاع في الرواية له وظائفه إذ ترى يمنى العيد أن«الراوي يكسر زمن قصته أو يكسر حاضر هذا القص ليفتحه على زمن مضى له وقد يكرر الراوي هذه اللعبة فيكسر زمن القصة أكثر من مرة ويفتحه على ماض قريب حينا ،وعلى ماض بعيد حينا آخر .... وقد يتفنن في هذه اللعبة فيداخل بين عدة أزمنة ليخلق فضاء لعالم قصه وليحقق غايات فنية أخرى منها التشويق ،والتماسك ،والإيهام الحقيقي »[1] ذلك أن الراوي يستعين بكثرة الاسترجاع لغاية فنية جمالية ولربط الأحداث والأفكار وكذا تشويق المتلقي وإثارته.

أما الاستباق في الرواية فهو قليل ،ففي الفصل الثالث نجده في حوار بين كريم وصديقه محمد يوسفي الذي يحاول الرفع من معنويات كريم الذي بدا له محبطا من الوضع السائد « يبدوا أن تغييرات جوهرية ستحدث هذه الأيام على هرم السلطة ،هناك حديث عن غلق المعتقلات وإجراء مفاوضات حقيقية من أجل استعادة السلم (.....)لا تكن متشائما يا كريم؟قلت لك بان تغييرات أساسية ستحدث هذه الأيام وسيتم وقف سفك الدماء »[2] تحيل المقاطع الزمنية الاستباقية وهي قليلة في الرواية على المستقبل لتضفي على الرواية عنصر التنبؤ ،فالزمن الحاضر في المحكي(**الورم**) يستلزم أفكارا تنبؤية ذلك أن عنصر التنبؤ ضروري في السرد الروائي .

[1] سليم بتقة ،البعد الأيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب ،مرجع سابق ،ص:115.

[2] الرواية ،ص:30.

1-2- 3المكان:يعد المكان عنصرا مهما من العناصر التي يقوم عليها العمل الروائي، إذ تتحدد فيه أحداث الرواية باعتباره موقعا جغرافيا وعليه تعيش شخوص الرواية .وفي رواية **الورم** تدور معظم أحداث الرواية داخل قرية وادي الرمان وهي قرية صغيرة وهادئة تحيطها الأحراش والبساتين والتي كانت عاملا مهما ساعد الجماعة المسلحة في تنفيذ عملياتها ،ويمكن تقسيم الأماكن في الرواية إلى :

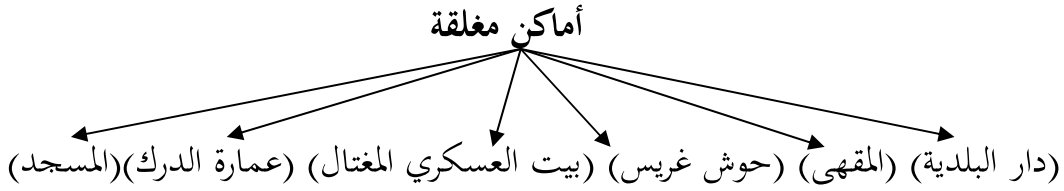

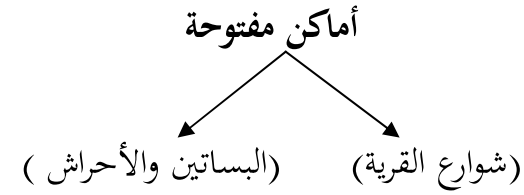

قدم الكاتب مشهدا كليا يصور القرية التي خلت شوارعها من أي شجرة يحتمي المارون بها من أشعة شمس الصيف الحارقة ، تعد القرية البنية المكانية الكبرى التي جرت فيها أحداث الرواية فكانت مسرحا لصراع إيديولوجي بطله الجماعة المسلحة التي دخلت في صراع مع الدرك من جهة ومع سكان القرية من جهة أخرى ،تتفرع البنية المكانية الكبرى في الرواية علة بنى مكانية صغرى أولها :

أ _ **حوش غريس** : مساحة جغرافية صغيرة قرب قرية وادي الرمان، تحيطها أشجار الدّلب الطويلة«حوش غريس بناية قديمة على حافة الانهيار تقع على بعد كيلومترات من وادي الرمان ،خزانات إسمنتية استخدمت لمدة طويلة لتخمير عصير العنب أيام كانت الأراضي المحيطة بالقرية مغروسة بالكروم يستخرج منها أعتق الخمور أما اليوم فلم يبقى من هذه الكروم إلا النزر القليل اعتبرت السلطة الوطنية هذه الكروم إحدى مخلفات الاستعمار فأمرت بقلعها من جذورها لتعوّضها بزرع القمح والشعير والخضر والفواكه فبقيت الخزانات الكبيرة مهجورة [1]». يمتاز حوش غريس بخصائص معينة جعلت منه موقعا استراتيجيا تنطلق منه الجماعة المسلحة: _أشجار الدلب المحيطة بالمكان جعلته خفيا نوعا ما.

_قِدم المكان الذي هُجر منذ الاستعمار يبعد عنه الأنظار.

_ بعده وإن ببضع كيلومترات عن قرية وادي الرمان وبالتالي عن أعين السكان والدرك ،وقربه في الآن ذاته من القرية يسهِّل تنقُّل الجماعة إليه ومعرفة أخبار القرية .

ب–دار البلدية : وقد كانت هي الأخرى مسرحا لعمليات جماعة يزيد المسلحة والتي قامت بإحراق دار البلدية بعد أن أجبرت حارسها على أن يدلهم على مكاتب البلدية وحظيرة

[1] الرواية ،ص:06.

سياراتها ،وقد كانت هذه الأخيرة «ساحة واسعة بها سيارات وشاحنات وحافلات وجرار مع خزان مائي متحرك ،اقترب يزيد من سيارة جديدة من نوع مازدا ،لونها سنجابي »[1]

عمق الحظيرة تحت سقيفة من الزنك ،قال يزيد بزهو وهو يطوف حولها ...سيارة سيدي الميْر،جميلة ومريحة سندشِّن بها عملنا المبارك » [2] أضرم يزيد النار في حظيرة السيارات التابعة للبلدية ثم توجَّهوا إلى مكتب المير «كان المكتب واسعا يحوي أرائك جلدية حديثة الشكل ومكتبة واسعة جديدة الصنع ،امتدت عبر طول جدار من جهة اليمين ،معبَّأة بحافظات أوراق كرتونية ، وبعض الكتب والمطبوعات الإدارية »[3] قامت جماعة يزيد بإحراق مكتب **الميْر** مع ما يحويه من كتب ووثائق ولم يغادروا المكان حتى تأكدوا من إحراق كل شيء ،تعدُّ دار البلدية أول رقعة جغرافية عليها تقوم مؤسسة تمثِّل الدَّولة فكانت أوَّل مسرح لعمليات جماعة يزيد المسلحة .

ج–عمارة الدرك :«تقع العمارة التي تأوي زمرة الدركيين وعائلاتهم على طرف وادي الرمان ،عبر الطريق المؤدي إلى سيدي موسى »[4] تتألف العمارة من طوابق عدة خصِّصت العليا منها لعائلات الدرك في حين تخص الثانية وهي السفلى مكاتب الدرك ،وقد كانت عمارة الدرك ثاني هدف لجماعة يزيد ،وثاني مكان يضمُّ مؤسسة من مؤسسات الدولة في قرية

[1] الرواية ،ص:45.
[2] الرواية ،ص:45.
[3] الرواية ،ص:46.
[4] الرواية ،ص:49.

وادي الرمان، لتصبح هي الأخرى هدفا للجماعة المسلحة التي أمطرتها بوابل من الرصاص لتخلِّف الفتاة **سليمة** قتيلة .

لقد اختار الكاتب القرية وما جاورها من أرياف لتكون مسرحا للصراع الدائر بين الدرك والجماعة المسلحة ، واختيار الكاتب للقرية دون ما عداها من أماكن لتكون مسرحا للصراع ذلك أن القرية تمثل أحد أهم مصادر التموين التي اعتمدتها الجماعة المسلحة إذ يمدُّها سكان القرية قصرا وتحت تهديد السلاح بالمال والغذاء ،فكان المكان عاملا استراتيجيا في تكوين الصِّراع الأيديولوجي داخل الرواية .

1- 3 من خلال الانتماء: تحمل رواية الورم رؤى إيديولوجية متعددة تمثلها شخصيات الرواية ،وقد ولَّد الاختلاف في الرؤى والأفكار بين الشخصيات في الرواية صراعا تجسَّد من خلال الأحداث التي تزخر بها رواية "**الورم**"،إذ يقوم الكاتب في هذه الرواية بسرد الأحداث ونقل الحوار بين الشخصيات في الرواية بشكل عادي ؛بيد أن المتأمل لخطاب الرواية يلحظ التقارب الكبير بين خطاب الراوي وخطاب البطل بشكل مباشر في عديد صفحات الرواية ،في حالات الاسترجاع (التذكُّر) ،المونولوج الداخلي لشخصية البطل وذلك في فصول كثيرة من الرواية وقد ورد في كلام كريم في الفصل الأول وهو الشخصية البطلة في الرواية :

«كيف يمكن لي أن أقتل رجلا ؟ فكرة لم تخطر ببالي أبدا بل كنت كلما أقرأ خبر قتل إلا وأستنكر الفعل وآمل في قرارة نفسي أن ينال المجرم أقصى العقاب .فكيف يمكن لي أن أتحول بدوري إلى قاتل ؟ إلى مجرم وبإصرار وترصد ؟»[1] هكذا فكر كريم هندما طلب منه يزيد لحرش اغتيال الصحفي محمد يوسفي ،ثمَّ عقَّب الراوي عن هذا حين تذكَّر كريم الجماعة الإسلامية وخطب شيوخها التي ترى أن حكَّام هذا العصر في رِدة عن الإسلام وأن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف هذا ما رآه شيوخ الجماعة الإسلامية .

كانت أفكار الجماعة تناقض ما يراه كريم،فعلى لسان الراوي «لم يكن كريم مقتنعا بهذه الأفكار التي وجدها متطرفة وغير معقولة وغير واقعية أصلا بل وتخالف المذاهب الفقهية التقليدية التي تراعي الطبيعة الإنسانية التي ليست من طينة الملائكة ولا الشياطين (.....) أين هذه الجماعة المسلمة من القرءان والسنة النبوية في التسامح والمؤاخاة والحلم »[2]يستنكر كريم هنا في نفسه إيديولوجيا الجماعة التي يرى أنها متطرفة ولا تمت للإسلام بصلة ولا لتعاليمه السمحة.

وفي جزء آخر يتحدث كريم في نفسه عن مستنكرا طلب يزيد له بقتل محمد يوسفي «هكذا بكل سفالة ، أتقدم نحو بشر يدب جسده بالحياة ، أصوب المسدس تجاه صدره[3]

[1] الرواية ،ص:15.
[2] الرواية ،ص:17.
[3] الرواية ،ص:16.

أو ظهره وأطلق النار ،ليتحول إلى جثة هامدة ،ليفارق الحياة في ثواني معدودة أقتل الرجل بكل برودة دم وغياب أي ضمير أو شعور بالذنب (...) كيف يمكن لمسلم أن يقتل مسلما دون سبب قاهر؟" [1] من خلال النصوص السابقة من الرواية سواء ما تعلق فيها بالمونولوج الداخلي لشخصية البطل **كريم** أو تذكر البطل لفتاوى شيوخ الحزب الإسلامي بشرعية القتال ،ومحاربة الدولة ونظامها ،تحمل النصوص السابقة نبرة التأكيد على رفض أيديولوجيا الجماعة الإسلامية المتطرفة .

يبطِّن خطاب الرواية من خلال المقاطع المختارة السابقة وعيين ،فأمام وعي كريم الرافض للقتل يقف وعي الكاتب ؛إذ التقارب كبير بين خطاب الراوي وخطاب كريم الذي يظهر من خلال المقاطع التي تحمل مونولوجا أو من خلال المقاطع التي تحمل مونولوجا ،أو المقاطع التي يتذكر فيها كريم أحداثا سابقة عندما كان منتميا للحزب الإسلامي فعلى الرغم من انتمائه له ومعاناته في المعتقل إلا انه كان رافضا لأفكار الجماعة الإسلامية التي رأى أنها متطرفة وإن انضم إليها في الجزء الأخير من الرواية قسرا.يظهر مما سبق من مقاطع تبني الكاتب لايديولوجيا الشخصية البطلة والتي مثلها **كريم** وهذا ما اتضح من خلال اهتمامه بشخصية البطل وسرده لتفاصيل حياته ،وتقديمه لأفكاره ورؤاه من خلال عرضه لتأملاته النفسية في شكل مونولوج في كثير من فصول الرواية .

[1] الرواية ،ص:16.

وفي مقطع آخر من الرواية يتذكر كريم أيام المعتقل و قسوته عندما دخل إلى إحدى الخيام المخصصة لأمراء الحزب الإسلامي خطأ ليفاجئ بالترف الذي يعيشه أمراء الحركة في المعتقل.

مائدة تحلَّقوا حولها تضمُّ ما لذَّ وطاب من أكل وشراب في حين يعيش بقية المعتقلين أوضاعا مزرية .لا يجدون ما يسدون به رمقهم الجائع ...يعلِّق الراوي مباشرة بعد هذا المقطع قائلا« هكذا مع كرِّ الأيام ،أنطفأ التبجيل الذي كان كريم يكنه للأمراء والخطباء والدعاة أضحى لا يستمع بنفس الاهتمام والحماس للخطب والدروس الفقهية ,ما فائدة الخطب الرنانة والنصائح النبيلة إن لم يلتزم أصحابها بتطبيقها في حياتهم الخاصة قبل أن يفرضوها على غيرهم .بدأت خطبهم تشبه خطب المسئولين على رأس الدولة الذين يقولون مالا يفعلون بل ويكذبون علانية ودون خجل »[1] وفي مقطع آخر يعلِّق الكاتب على حديث كريم عندما كان يستمع لحديث يزيد وهو يكلفه بمهمة قتل الصحفي يوسفي ،تذكر كريم التجمعات الحزبية للحركة الإسلامية والخطب التي كانت تلقى عليهم وكذلك فتاوى شيوخهم ،عن هذا علَّق الكاتب « لكن حماس كريم فتر بنسبة كبيرة أثناء إقامته في المعتقل حيث شاهد عن قرب السلوكات اليومية للأمراء الجدد الذين أظهروا جهلهم المطبق بالمسائل الفقهية وعوَّضوه بالغطرسة والتسلُّط على جنودهم ناهيك عن الخلافات الشرسة والعنف اللفظي والعبارات السوقية والشتائم البذيئة التي يمطرون بها بعضهم بعضا في حالات الغضب و النرفزة»[2]

[1] الرواية ،ص:11.

[2] الرواية ،ص:09.

يخلو خطاب كريم بوصفه الشخصية البطلة في النص من أي علامات تنصيص أو القول

وهذا ما يشير إلى «القوة التي تتصف بها فكرة البطل داخل النص ،وتبني الراوي للفكرة المطروحة » [1] والملاحظ في نص الرواية وخاصة في المقاطع التي يتحدث فيها كريم سواء حواراته أو ما تعلق بالمونولوج؛ واللَّذَيْنِ يتبعهما الراوي دائما بتعليق وكأن خطاب الراوي وخطاب البطل يتناوبان ليؤكد الراوي فكرة البطل ويفنِّد ما عداها، إذ تكمِّل الرؤيتان رؤية الراوي ورؤية البطل بعضهما البعض وتشكِّلان وعيا وتصوُّرا واحدا هي رؤية الكاتب التي تطابق رؤية كريم ، الذي تبنى إيديولوجيا معتدلة ،فكان ضد أفكار الجماعة الإسلامية وعلى يقين بعدم شرعية القتل الذي أباحوه ليتحول بداية من الفصل الثاني عشر إلى فكر متطرِّف بعد أن أجبر على الرضوخ للجماعة التي التحق بها خوفا من المصير المأساوي الذي ينتظره إن رفض أوامر الجماعة .

2/ الصراع بين الدرك والجماعة المسلحة :

قبل محاولة الولوج إلى مواطن الصراع في الرواية والبحث في أسبابها ونوع هذا الصراع وجب أولا معرفة الظروف الاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها سكان قرية وادي الرمان باعتبارها مسرحا للصراع الدائر في الرواية .

[1] عمر عيلان ،الأيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة،مرجع سابق ،ص:196 .

أ/ **الظروف السياسية** :لم تكن الظروف الأمنية والسياسية في قرية وادي الرمان مختلفة عن غيرها من قرى الجزائر وأريافها فحالة الخوف وفقدان الأمن عششت في النفوس بسبب

الصراعات الدائرة في القرية بين «أجهزة الأمن التي تلاحق المشتبه فيهم ،ومن جهة أخرى السيوف الصدئة المسلولة وخراطيش المحشوشة للجماعات الإسلامية التي تحصد دون تمييز بين الحشائش الضارة وسنابل القمح النافعة »[1]فهجر الناس الأماكن العمومية خوفا على أنفسهم وآثروا التخندق في البيوت فهو الحل الأنسب في نظرهم حتى تنتهي الأزمة .

ب/الظروف الاجتماعية :لم تكن ظروف القرية الاجتماعية أفضل من ظروفها الأمنية ،بسبب الحالة المادية السيئة التي يعيشها سكان قرية وادي الرمان فقلة مناصب الشغل أدت إلى انتشار البطالة والفقر ، الهجرة إلى الخارج فكرة استحوذت على عقول الشباب لطلب الرزق أو الأمن « حمَّى الهجرة قد استولت على عقول الناس جميعا ،في دزاير لا شغل للناس إلا الانتظار أمام السفارات الأجنبية لتدبير تأشيرة إلى أي مكان المهم الهربة .باريس ،لندن فرانكفورت أوطاوة ،سيدني، دبي، المنامة، دكار، طمبغتو ....أي مكان المهم مغادرة البلد إطارات كبرى مستقرة لها كل الامتيازات المادية والمعنوية ترحل بأفواج كبيرة في الليل قبل النهار ....» [2] وتختلف الظروف الاجتماعية حسب الطبقات إذ يملك أصحاب المؤسسات

[1] الرواية ،ص:27.

[2] الرواية ،ص:32.

و الإطارات العليا كافة الامتيازات ويعيشون حياة مترفة في حين يعيش عامة الشعب فقرا مدقعا.

أما الدين فالقرية على خلاف المدينة لا تزال محافظة على تعاليم الدين وعلى العادات والتقاليد ،الحشمة والحياء ، عدم خروج المرأة و تبرجها كما في المدن الكبرى ،المسجد في القرية لم يعد مكتظا بالمصلين كسابق عهده ليس بسبب قلة الإيمان وإنما لأنه «أضحى حلبة للمناوشات الحزبية والنقاشات البيزنطية العقيمة (....)التي لا تقدِّم ولا تؤخِّر» .[1]

يدور الصراع في رواية الورم بين قطبين أولهما الجماعة الإسلامية المسلحة بقيادة يزيد لحرش والتي تحصَّنت بالأحراش والبساتين المحيطة بالقرية ؛والتي لا يتجاوز عدد أفرادها خمسة ،اتخذت الجماعة من حوش غريس مخبأ لها وهو مكان مهجور يبعد عن القرية ببضع كيلومترات ،تتحصن به الجماعة ومنه تنطلق لتنفيذ عملياتها ، الطرف الثاني في الصراع وهو الأمن المتمثل في مفرزة الدرك التابعة لقرية وادي الرمان وهي عمارة تضمُّ الدركيين وعائلاتهم كما تضم مكاتب عملهم ،يقود المفروزة "**رابح بن سالم** " ويقع تحت إمرته مجموعة من الدركيين .

إن طبيعة الصراع في الرواية فكري إيديولوجي وهو ليس وليد اللحظة ،ولم يظهر مع ظهور جماعة يزيد فحسب وإنما يعود لسنوات خلت؛ وإلى سياسة الدولة التي انتهجتها

[1] الرواية ،ص:04.

ضد الحزب الاسلامي فبعد نجاح الحزب الإسلاميفي الانتخابات قامت فوضى عارمة في قرية وادي الرمان بسبب خلاف بين رئيس البلدية المنتمي لهذا الحزب وبين الدرك؛ بعد أن غير هذا شعار البلدية من«من الشعب وإلى الشعب » إلى «البلدية الإسلامية » .وقد اعتبر مناضلو الحزب الإسلامي الشعار السابق من« مخلفات المرحلة الشيوعية الملحدة وعلى الحزب أن يصنع شعارات جديدة تعبِّر بحق عن أفكاره » [1] . وبعد أخذ ورد بين مناضلي الحزب من جهة والدرك من جهة أخرى تم إزالة الشعار القديم ووضع الإسلاميون شعارا جديدا «البلدية الإسلامية » ،فتدخل الجيش بعد ذلك وزُجَّ بمناضلي الحزب في شاحنات خاصة ونقلو الى معتقلات في أقاصي الصحراء .

تأسس الوعي الممكن للجماعة الاسلامية المسلحة على خلفية إيديولوجية متطرفة ترفض رفضا قاطعا أي فكر إيديولوجي مخالف لها؛« يشكلون جماعات تبدو متجانسة في مظهرها الخارجي بتلك الألبسة الغريبة من جلابيب و شواشي و أقمصة وجاكيتات جلدية وأحذية رياضية ،والوجوه الملتحية فينزلون على المدن والقرى بحماس وسلوك الفاتحين الغانمين ،الآتين بإسلام جديد ،هم وحدهم أصحابه ومبشروه ،أما الآخرون فليسو إلا طوائف ممجوجة من المشركين والوثنيين والكفرة والمنحرفين عن الدين الصحيح»[2] ،هذا ما جاء على لسان كريم الذي كان مناضلا في الحزب الإسلامي ويظهر من وصفه تطرف الجماعة

[1] الرواية ،ص:22.

[2] الرواية ،ص:09.

الإسلامية التي جاءت بدين جديد يرفض ما عداه ،فقد تبنت الجماعة أفكارا تعتقد بأنها سليمة وصحيحة وأن ما عداها زيغ وانحراف عن الدين .

لقد سعت الجماعة الإسلامية المسلحة لفرض إديولوجيتها على سكان قرية **وادي الرمان** من خلال جملة قوانين تلزم بها سكان القرية وتتوعد من خلالها من يرفضونها بأقسى العقوبات وذلك من خلال ملصقات علقتها عند باب المسجد جاء فيها :

«1- وجوب مقاطعة جميع مؤسسات السلطة الطاغية كالإدارة ومقرات الشرطة والدرك والجيش .

2- وجوب لبس جميع النساء وجميع الفتيات اللائي تتجاوز أعمارهن السبع سنوات الحجاب الشرعي .

3- وجوب غلق جميع الحمامات ومحلات الحلاقة النسائية .

4- وجوب غلق جميع الحانات ومحلات بيع الخمور.

5-وجوب تحطيم جميع الهوائيات المقعرة (البارابول) .

6- وجوب منع التدخين ،وبيع التبغ بكامل أنواعه .[1]

[1] الرواية ،ص:90.

7- وجوب منع قراءة الجرائد الرسمية وبيعها من اليوم فصاعدا ،وستوزع عليكم جريدتنا الأنوار،وستجدون فيها الأخبار الصحيحة حول المجاهدين والجهاد،عوض الافتراءات المضللة التي تنشرها صحافة الكفر والإلحاد .. »[1] .تثبت هذه القوانين التي سنتها الجماعة الاسلامية المسلحة إيديولوجيتها المتطرفة فخطابها هنا كان خطابا صارما متوعدا إذ ترفض الجماعة أي فكر مخالف لها من خلال تهديداتها .وقد أرادت هذه الجماعة ان تحدث انقلابا إيديولوجيا في هذه القرية من خلال منعها للسكان من العمل في أي من مؤسسات الدولة، إذ عطلت الجماعة بذلك مصالح السكان فقطاع الصحة والتعليم والإدارات تمثّل كلها شريان حياة في أي منطقة سكانية وتعطيل العمل بها يعني شل الحياة داخل القرية .

«إن شكل الوعي لدى طبقة ما هو في الوقت نفسه تعبير عن رؤية للعالم لدى هذه الطبقة »[2]ترى الجماعة الإسلامية المسلحة في النظام نظاما فاسدا وترى في الوقت ذاته نفسها الفئة الأصلح لحكم وإدارة البلاد ،فسعت الجماعة بشتى الطرق للوصول إلى السلطة من خلال تنفيذ أجندتها على أرض الواقع اغتيالها لرئيس البلدية بسبب عمله في مؤسسة حكومية ،ثم تصفية الصحفي محمد يوسفي للسبب ذاته «السبب الذي برروا به فعل القتل هو أن الرجل يعمل في مؤسسة تستخدمها السلطة الطاغية في الترويج لأكاذيبها الملفقة ضد الجماعات الإسلامية ،وحسب الفتوى حديثة العهد من أمير الجهاد المسلح يبيح الإسلام

[1] الرواية ،ص:90.

[2] عمر عيلان ، الإيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ،مرجع سابق ،ص:160.

قتل كل الذين يشتغلون في مؤسسات السلطة ،كما يجوز شرعا حرق وتدمير وإتلاف أملاك هذه المؤسسات العمومية لإضعاف السلطة تمهيدا لإقامة الدولة الإسلامية »[1]أباحت مثل هذه الفتاوى المتشددة لشيوخ الجماعة عمليات القتل وإتلاف مؤسسات الدولة التي يقوم بها الجهاز المسلح للحركة الإسلامية .

لم تكن الجماعة الإسلامية تعمل لصالح الإسلام وإقامة الدولة الإسلامية الحقيقية وإنما تعمل لتنفيذ أجندتها هي ،وتنفيذ ما تمليه عليها إيديولوجيتها المتطرفة ؛ تصفية كل من يشتغل في أي من مؤسسات الدولة ،فتصفية الصحفي **محمد يوسفي** ليست محاربة للفساد كما يدَّعون وكما يرى كريم فهو«رجل مسلم مثلي ،وعلى حسب علمي لم يرتكب جريمة لا ضد الناس ولا ضد الدين »[2] هذا الاغتيال لم يكن خدمة للدين ومحاربة للفساد وإنما خدمة للمصالح الشخصية ولتحقيق إيديولوجيا نفعية هذا الاغتيال الذي رأوا بأنه سيعطي«صدى واسعا عبر العالم ،وسنثبت لحكم الطاغوت أننا قادرون على ضرب معاقله في أي مكان وفي أي زمان »وبالتالي تصفيتهم لأولئك ليست أكثر من إثبات وجود ولفرض سلطتهم وإثبات مكانتهم أمام العالم ،فاستعانت بـ **كريم بن محمد** وتكليفه بمهمة اغتيال الصحفي **يوسفي** يثبت ذلك فكريم كان يعمل في قطاع التعليم التابع للدولة والذي أباحت الجماعة الإسلامية قتل العاملين فيه.

[1] الرواية ،ص:80.

[2] الرواية ،ص:80.

أباحت تلك الجماعة المسلحة دماء الجميع كما حصل مع يزيد الذي اغتال ابن عمه رئيس البلدية لأنه يعمل في سلطة الطاغوت هؤلاء الذين «شكلوا جماعة هي عائلتهم الجديدة والوحيدة ،لم يعد الأخ هو ذاك الذي يشترك معك في انتسابه إلى أم وأب واحد ، بل الأخ هو صاحبك في الجهاد حتى ولو كان من أقصى [1]

الدنيا العائلة هي تلك الجماعة المسلمة التي كفرت الجميع وأعلنت الحرب عليهم فأباحت دمائهم وأموالهم وحتى نسائهم »[2] لقد احدث اغتيال رئيس البلدية شرخا كبيرا داخل مجتمع هذه القرية ،فقد زلزل هذا الاغتيال يقينيات الناس وغيَّر وعي مجتمع القرية كونه الاغتيال الأول من نوعه في القرية؛ رجل يقتل ابن عمه بتلك الطريقة الشنيعة ،غيرت تلك الحادثة أفكار الناس وكذا انتماءاتهم .وجعلت الرؤية المستقبلية للسكان قاتمة مرعبة .

قلب اغتيال محمد يوسفي هو الآخر الموازين والأفكار ،جريمة بشعة استنكرها سكان القرية ،من كان له ميل للجماعة تراجع ،اعتقد سكان القرية بدءا أن الصراع قائم بين الجماعة المسلحة سكان والدرك لكن اغتيال الصحفي يوسفي زلزل يقينياتهم أسئلة كثيرة حيرت سكان القرية الذين «زحف الخوف كتنين الكهوف الرهيب واستوطن»[3] قلوبهم ،عملية الاغتيال هذه لم تكن الأولى في القرية لكنها كانت الأولى من حيث طريقة القتل البشعة .

[1] الرواية ،ص:80.
[2] الرواية ،ص:80.
[3] الرواية ،ص،101.

أسئلة كثيرة أرّقت سكان القرية وأخذ الناس يلوكونها منذ اغتيال الصحفي **يوسفي** الذي أظهر التوجه المتطرّف للجماعة المسلَّحة وسعيها لتحقيق مصالح معينة تخدم الجماعة أولا وقبل كل شيء .

وأمام يقينية واعتقاد الناس بالحماية العسكرية التي تؤمنها لهم الدولة من خلال مفرزة الدرك التابعة لقريتهم ،وقفت الجماعة التي نفَّذت أجندتها بطريقة ذكية تنم عن حنكة مقاتليها لتفرض إيديولوجيتها الخاصة الطامحة لتغيير هذا المفهوم فمثل هذه الأعمال الاغتيالات والذبح بتلك الطريقة اللاإنسانية .

توجيه المدفع إلى واحد من سكان القرية **محمد يوسفي** الذي لا ينتمي لسلك العسكر ،فحسب اعتقاد السكان كل من ليس في سلك العسكر مستثنى من الصراع وخارج دائرة الاغتيال ،حطم يقينيات الناس وجعلهم يعيدون النظر في علاقاتهم مع الأمن ومع الجماعة المسلحة .

جمع الضرائب و الأموال من سكان القرية عملية مافتئت الجماعة المسلحة القيام بها إذ يموّلها السكان بدافع الخوف ،تبرر جماعة يزيد أخذها لأموال الناس بحجة تموين العمليات الجهادية كما تسميها ومن أجل إقامة الدولة الإسلامية؛ أفكار بعيدة كل البعد عن الدين وفتاوى أصدرتها الجماعة المسلحة وجعلت منها دستورا ،القتل بالشبهة تكفير الناس ،مصادرة الأموال بحجة تموين العمليات الجهادية .

التفكير لاقتناء أسلحة راود الكثير من أهل القرية بحكم أن «الدفاع عن النفس حق من حقوق الحياة الخالدة ،لذلك عليهم البحث عن الأسلحة »[1] والدفاع عن النفس والعرض والممتلكات «إذا كانت الدولة غير قادرة على حماية المواطنين فلم يبق إلا الاعتماد على القدرات الفردية والجماعية لصد المجرمين »[2] وقد حققت الجماعة المسلحة هدفها ،وهو خلخلة موازين القوى داخل القرية ،وجعل السكان يفقدون الثقة في حماية الدرك لهم ، و بالمقابل ترهيبهم وتخويفهم بالمصير المأساوي الذي ينتظرهم إن شقُّوا عصا الطاعة للجماعة ، أو حاولوا التعاون مع مؤسسات الدولة بأي شكل من الأشكال .

زاد من ذلك التخوف ؛الهجوم الذي شنته الجماعة المسلحة على العمارة التي تضم مفرزة الدرك ليلا بعد فراغهم من إحراق البلدية ،إذ أجبرت جماعة يزيد الدرك على التحصُّن في المفرزة ،فانقلب الميزان لصالح الجماعة ،تحصَّن الدركيون في العمارة منصاعين لأوامر القيادة ،مُنِع الدركيون من القيام بدوريات فردية تحسُّبا لأي هجوم أو محاولة اغتيال .

رغم قلة العدد وقلة السلاح أصبحت الجماعة المسلحة مركز القوة في القرية وهذا ما جاء على لسان الدركي بلقاسم عرفاوي «في هذه الشهور الراعي الحقيقي هم الإسلاميون ،المسلحون منهم والسياسيون الدعاة ،يصدرون الفتاوى بما يجوز ولا يجوز والشعب المسكين

[1] الرواية ،ص:101.
[2] الرواية ،ص:102.

يطيع طاعة عمياء ،خوفا منهم وانتقاما منا نحن أيضا أذقناهم العلقم بالتفرعن و التعنتر(.....) كيف ننتظر منهم بعد كل هذه التعسفات القاهرة الشبيهة بتلك التي[1]

مارسها الكولون والقياد أيام الاستعمار ،أن يقابلونا بالمحبة والاحترام؟الولاء والطاعة للقوي الجبار ،ويبدو أننا نفقد هيبتنا وسلطتنا ..»[2] لم يكن الخوف من الجماعة المسلحة ومن عمليات القتل التي تنتهجها ،العامل الوحيد في عزوف السكان ويأسهم من حماية العسكر ،وإنما الفساد الحقيقي الذي كان منتشرا في كثير من القطاعات وعند كثير من المسئولين .

يعي سكان القرية بما فيهم المشتغلين في سلك العسكر كعلي الذي كان مناضلا في الحزب الإسلامي ،عملية تصفية وتطهير انتهجها القطاع العسكري بطرد كل من له علاقة بالإسلاميين من قريب أو من بعيد ،هذه السياسة وغيرها التي انتهجها مسئولون في قطاعات مختلفة من الدولة فالمسئولون في نظر السكان « يعتبرون خيرات البلاد ملكيتهم الخاصة ،يصرفون يبذِّرون دون أدنى تفكير في الشعب المسكين يعيشون بين قصورهم المحروسة وبين العواصم الغربية يجهلون مشاغل المواطنين لا يعرفون شيئا عن أوضاع البلاد التي آلت إلى الهاوية »[3] علي ليس الوحيد الذي فكَّر في الانضمام إلى الجماعات المسلَّحة خيار فكَّر فيه الكثير ،ونفَّذه البعض كـ: عبد النور (**القهواجي**) الذي كان يدرس عند كريم وكريم المعلِّم المثقَّف .

[1] الرواية ،ص:121.
[2] الرواية ،ص:121.
[3] الرواية ،ص:82.

القتال باسم الدين الجهاد من أجل إقامة الدولة الإسلامية من خلال اغتيال الصحفيين وقتل العسكر التابع (لسلطة الطاغوت) كما تسميه الجماعة المسلَّحة، كان اغتيال الدركي بلقاسم عرفاوي ضربة قاصمة للظهر بالنسبة للدرك ،أرعب هذا الفكر المتطرف عسكريي القرية كما أرعب سكانها ،عملية اغتيال نفذها فتى صغير انضم حديثا للجماعة المسلحة ، التي اعتبرته عملا بطوليا في حين استذكره الجميع .

لم يعد الصراع في القرية صراع سلاح وقتل ،لقد أصبح فكرا يعتقده الناس ويؤمنون به ،إما الانتماء لفكر الجماعة الإسلامية المسلحة التي تجاهد في سبيل الله كما يرون وإما إتباع سلطة الطاغوت وتعريض حياتهم للخطر ،فقد سكان القرية الشعور بالأمان خلت القرية إلا من قلة قليلة ، فِكر رأى فيه رابح بن سالم (رئيس مفرزة الدرك) كفرا وهو يخاطب أحد سكان القرية «رجال مثلي ومثلك يذبحون عباد الله باسم الله وباسم القرءان وباسم الإسلام ،يجنِدون فتيانا مراهقين ،يسلِحونهم ويجبِرونهم على القتل والذبح مثل الوحوش وباسم ماذا؟ باسم الله و باسم الرسول محمد صلوات الله عليه (....) أنا لم أعد أذهب إلى المسجد للصلاة أتعرف لماذا ؟لأنني أخاف أن يقتلني مسلم مثلي، يسجد بجانبي أو خلفي (.....) لان شيوخ الإسلام في بلادنا أصدروا فتوى تبيح قتل رجال الدرك والشرطة والعسكر لأنهم ينتمون إلى سلطة الطاغوت، فهم اعد ء الله والإسلام »[1] .

[1] الرواية ،ص:123.

لقد كان الصراع بين الدرك والجماعات المسلحة صراعا بين وعيين متناقضين فأمام إيديولوجيا الجماعة المسلحة التي تحمل فكرا متطرفا والتي اتخذت من الإسلام ومسمياته قناعا تختفي وراءه من اجل تنفيذ أجندتها وتحقيق منافع خاصة ،اغتيال الصحفي لإثبات وجودها

وترهيب سكان القرية ،ثم قيامها بمهاجمة مفرزة الدرك الفرض حصار عليهم ،وليفقد هو الآخر الأمن ،وتُسقِط من معنويات العسكر وتجبرهم على التحصُن ،ولتثبت عجز مركز الدرك عن حماية السكان ،وجمع الأموال من سكان القرية ، لم يكن لتموين عمليات الجهاد كما يعتقد سكان القرية وغنما كان لتحقيق مصالح خاصة ونفعية تلك الملصقات التي تحمل قوانين إلزامية لسكان القرية بحكم أنها قوانين ربانية إذ تحرص الجماعة على ربط كل قانون بالله وبالدين ،كلها كانت في إطار حرب إيديولوجية فكرية.

اكتفى مركز الدرك التابع لقرية وادي الرمان بالدفاع فحسب لم يكن من السهل عليه شن هجوم على الجماعة من دون دعم لوجيستي من الدولة إذ تتحصن الجماعة بالأحراش بل وتحفظ مسالكها ودروبها ،وهذا ما صعَب من مهمة الدرك وجعل أي محاولة لشن أي هجوم مغامرة لا تحمد عقباها .

واستنادا إلى ما سبق يمكن القول أن الجماعة الإسلامية المسلحة رغم قلة العدد والسلاح وحياة التشرد وانتهاج سياسة الاغتيالات قد قلب ميزان القوة داخل القرية ،لتعلوا

إيديولوجيتها النفعية وفكرها المتطرف فوق أيديولوجيا الدرك الذي يمثِل الدولة في قرية وادي الرمان .

3/ صورة الشخصيات والانتماءات الإيديولوجية:

3-1 صورة كريم (الانقلاب الجذري): «تعد الشخصية الروائية من العناصر الأساسية في بناء الرواية بحيث لا يمكن بأي حال من الأحوال إلغاء هذا الدور ،ذلك أن الكاتب لا يستطيع أن يرسم عالمه دون أشخاص يتحركون ،يتحدثون ويفعلون ،وبقدر تعدد الأفعال و الأفكار تتعدد الشخصيات وتملا العالم الروائي الواسع»[1] .تعد شخصية **كريم بن محمد** الشخصية الرئيسية في الرواية وهو شاب لا يتجاوز عمره 26 سنة ،كان يشتغل معلما في القرية ،وكان مناضل في الحزب الإسلامي ، تم اعتقاله ونفيه إلى الصحراء في التسعينيات بعد إقالة الحكومة قربة السنة ثم تم تسريحه بعد ذلك ،اعتزل كريم السياسة بسبب ما جرته عليه هذه الأخيرة من متاعب إلى أن اتصل به **يزيد لحرش** قائد الجماعة الإسلامية المسلحة في قرية وادي الرمان طالبا منه اغتيال الصحفي **محمد يوسفي** .

لم يكن كريم على استعداد لتقبل وضعه الجديد بل لم تكن فكرة القتل واردة في ذهنه أبدا ، فكريم بطبعه إنسان مسالم ،ثم عن الشخص الذي عينه له يزيد صديقه الحميم وأخته حبيبة كريم كان على وشك الارتباط بها لولا ظروف الاعتقال التي حالت دون ذلك «فكرة لم

[1] سليم بتقة ،البعد الإيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب ،مرجع سابق ،ص:132.

تخطر ببالي أبدا ،بل كنت أقرا خبر قتل إلا وأستنكر الفعل وآمل في قرارة نفسي أن ينال المجرم أقصى العقاب فكيف يمكن لي أن أتحول على قاتل »[1] يدرك كريم أن القَتَلة من بني البشر هم أناس قد تجردوا من صفة الإنسانية وغلا فكيف يمكن لبشر أن يُقدم على قتل إنسان تدب به الحياة لينتقل إلى العدم .

استعرض كريم شريط ذكرياته في ليلة أرقه فيها السهاد ،أيام المعتقل ،أفكار الجماعة التي لم يكن مقتنعا بها ،تصرفاتهم التي تظهر عكس ما يدعون إليه .هو غير مقتنع بشرعية القتل لأنه يرى بأن محمد يوسفي ليس طرفا في الصراع ،ولم يرتكب جرما يحاسب عليه ،هذا ما أجاب به كريم شقيقه علي عندما دخل عليه ووجده ممسكا المسدس الذي أعطاه إياه يزيد ليقتل به **الصحفي يوسفي** ، ليسأله علي عن الطريقة التي سيقتل بها الصحفي «لا يخيفني فعل القتل ،لم أصل إلى هذا المستوى من التفكير ، إن الذي يؤرقني ويقض مضجعي هو شرعية هذا القتل (....) طلبوا مني ان أقتل رجلا مسلما مثلي ، وعلى حسب علمي لم يرتكب جريمة لا ضد الناس ولا ضد الدين »[2] .

كان كريم على قدر عال من الثقافة فهو كما يصفه شقيقه علي « يقضي معظم أوقاته بين الكتب الصفراء ..»[3] لم يكن كريم مقتنعا بشرعية القتل ،بل كان على يقين من انه محرم لكنه لم يكن يملك الجرأة الكافية لمجادلة يزيد وجماعته ،عندما كلفوه بالمهمة في حوش غريس

[1] الرواية ،ص:15.
[2] الرواية ،ص:80.
[3] الرواية ،ص:80 .

بعد ان سيطر عليه الخوف وقد عاصر بطش الجماعة وعقوبة من يخالفهم في الرأي ناهيك عن يزيد المعروف بدمويته .

التقى كريم بمحمد يوسفي مرتين حاول التهرب فيها من صديقه القديم لكنه فشل في الثانية إذ أصر محمد يوسفي على كريم بمرافقته إلى المقهى وهناك طال الحديث بينهما عرض فيها الصحفي على كريم مساعدة مالية ،عندما بدا له وضع كريم المادي سيئا لكن كريم رفض .

في قاعة الوضوء كان اللقاء الثالث بين كريم و بوشاقور إذا خاطبه هذا الأخير قائلا:«لماذا لم تنجز المهمة بعد ؟يزيد غاضب جدا من هذا التأخير نترك لك يومين آخرين لتصفيته ،أقتله لا تتردد .....» [1] لم يعد أمام كريم مهرب إما أن ينفذ أجندة الجماعة المسلحة وغما أن يغادر القرية ا وان يذبح عن لم ينفذ ،وقد حاول استحضار كل ما يحفظ من آيات وأحاديث حول الجهاد وإعلاء كلمة الله ليقنع نفسه بشرعية القتل .

زاد طبع كريم المسالم من تعقيد موقفه فهو يكره الشجار والعنف مذ كان طفلا إذ كان في صغره « يمقت الألعاب العنيفة ويتجنبها أثناء المشادات الجسدية الجماعية كان كريم يتدخل باستمرار لتهدئة الجو يقوم بدور الوسيط بين المتخاصمين »[2]. الآن وبعد لقاءه ببوشاقور أصبحت الخيارات أمام كريم ضيقة في نظره ،هو يعلم جيدا ما ينتظره عن لم ينفذ

[1] الرواية ،ص:91.
[2] الرواية ،ص:92.

أجندة الجماعة ،قرر كريم الذي داهمه الوقت التوجه الى منزل محمد يوسفي ،ليفاجئ بجميلة تفتح له الباب :

«- محمد موجود ؟ نعم انتظر دقيقة واحدة ...سأناديه »[1] شعر كريم بالندم بعد أن نظر على جميلة تلك الفتاة التي كانت عروس أحلامه لكن حلمه تبدد أمام واقعه المرير .....طلب **كريم** من **محمد يوسفي** أن يرافقه ليتحدث إليه قليلا لم يمانع محمد يوسفي ومضى مع كريم نحو مجهول لا يعلمه .

كان محمد يوسفي يثق في كريم ثقة عمياء لم يكن يتوقع شرا من صديقه الذي كان ينوي يوما ما مصاهرته ،اقترب الصديقان من الظلمة ففوجئ محمد يوسفي ببوشاقور شاهرا سلاحه على رقبته مهددا إياه ثم ما لبث أن أحيط بعدد من المسلمين « التفت محمد يوسفي نحو كريم فاتحا عينيه على اتساعهما ،متسائلا في صمت ،لعله يعثر على جواب ، ولكن كريم بن محمد حوَل بصره بعيدا (.....) كان واعيا بخيانته ولم يكن يقدر على مواجهة نظرة صديقه المتهمة ،الهلعة ولو للمح البصر ..»[2] .

استسلم كريم لأمر يزيد ليصبح هو الآخر قاتلا بلا رحمة ،إلى شجرة الكاليبتوس العملاقة سيق محمد يوسفي أمام نظر كريم الذي لم يحرك ساكنا بل كان سببا في ذبح صديقه أمام عينيه «استل يزيد سكينا من حزامه وقال شرارات الأذى تتطاير من عينيه :-حكمت عليك

[1] الرواية ،ص:96.

[2] الرواية ،ص:97.

الجماعة الإسلامية المسلحة بالقتل لأنك خادم الطغاة ،أعداء الله والإسلام »[1] ذُبِح محمد يوسفي دون رحمة أو شفقة وبطريقة لا إنسانية أمام نظر صديقه كريم الذي تحول من معلم مسالم إلى صديق غادِر ساقَ صديقه إلى الذبح .

غادرت الجماعة المكان تاركة الجثة شاهدة على دمويتهم ووحشيتهم ،فقط كريم أيقن أن لا رجوع بعد الآن ،أصبحت الجماعة المسلحة عائلته انطلق معها «مسلما رقبته هو أيضا لغطرسة يزيد لحرش كبهيمة تقاد على المذبح طيعة ذليلة »[2] التحق كريم بالجماعة ليصبح كبقية أفرادها يؤمر فيطيع ،اقتنع بفتاوى الجماعة التي ترى في اغتيالاتهم للدرك ومن يعمل في مؤسسات الدولة جهادا في سبيل الله مهما كانت الوسائل« لم أعد أتساءل وأناقش إن كانت الأفعال التي أقوم بها تجوز شرعا أم لا ....»[3] في الجماعة المسلحة عندما يصدر الأمير أمرا وجب التنفيذ لا أحقية لأحد بالسؤال أو الرفض ،اندمج كريم اندماجا كليا في الجماعة التي لا تؤمن بالتعدد ولا ترضى لها شريكا .

قصد يزيد وجماعته قرية وادي الرمان بعد أن علم بوجود عسكريين جاءا ليقضيا عطلتهما عند أهلهم في القرية ،ارتعدت أوصال كريم عندما عرف هوية العسكريين المستهدفين« هل قدر لي ألا أقتل إلا معارفي ؟أولهم **منير مسعودي** مجند لأداء الخدمة العسكرية وأظنه في أيام خدمته الأخيرة(....) الثاني اسمه **عبد الله مزاوي** (....) أتذكر أن آخر لقاء لي به منذ من

[1] الرواية،ص:97.
[2] الرواية ،ص:99.
[3] الرواية ،ص:108.

سنتين، عند خروجي من صلاة الجمعة وقد سألني عن ابنته التي كانت تلميذة في»[1] مدرستنا ،آه اللعنة علي وعلى جهادي ! ماذا سأفعل وبأي وجه سأقابله إذا صادف وأن تواجهنا ؟ما هي التهمة التي سأقدمها له ذريعة لقتله »[2] كان كريم على يقين من عدم وجود مبرر لعمليات القتل الذي يسمونه جهادا ،أسئلة كثيرة أرقت كريم حول شرعية هذا القتل والانتقام .

أربكت كريم تلك التساؤلات والأفكار المتناقضة ،شقت وعي كريم إلى وعي مزدوج يتصارع في عقله؛ لم يعد يعرف طبيعة الصراع ،أهو حقا لبناء الدولة الإسلامية أكان هذا هدف الجماعة أم أن الأمر لا يعدو كونه صراع مصالح وتصفية حسابات تساؤلات كثيرة لم يجد لها كريم جوابا :« أي خير وعدل يبنى على سفك دماء أقربائنا ؟أي سعادة تلك التي سندخلها على قلوب من حولناهم إلى ثكالى وأيتام ؟» [3] لم تتوقف أسئلة كريم حتى أرهقت ذهنه ،تأنيب الضمير والشعور بالذنب الذي لازمه طيلة الطريق من المخبأ إلى قرية **وادي الرمان** .

كثيرا ما تسائل كريم عن جدوى قتل أولئك العسكريين«كيف نحملهم مسؤولية التجنيد ونعاقبهم بالقتل ونرهب عائلاتهم ،كما لو كانوا من ألد أعداء الله » [4] تتصارع في نفس كريم

[1] الرواية،ص:156.
[2] الرواية ،ص:156.
[3] الرواية ،ص:157.
[4] الرواية ،ص:157.

شخصيتان ،كريم المثقف المسالم "الفقيه" كما نعته أخوه علي وشخصية كريم الآخر الذي تخلى عن حياته الماضية وتجرد من أفكاره ومبادئه وحتى عائلته .

وصلت الجماعة إلى القرية ،مر كريم من باب منزله ،لكنه قتل كل رغبة وكل شعور نوستالجي من شانه صده عن مسعاه :«علي أن أكون قويا وصلبا كصخر الغرانيت ،علي أن اسحق كل الأحاسيس النافرة ،و الوساوس التي تعج بذهني (....) سأفرغ ذاكرتي من مشاهدها الموجعة ،فلا أعرف أحدا ولا أشفق على أحد »[1] انتقل كريم إلى عالم آخر غير عالمه سيئد كل الأفكار التي تبناها طيلة حياته ،عائلته ماضيه .

قتل كريم الرغبة في الاتصال بكل ما يمت للماضي بصلة ،وكأنه ولد من جديد ،عندما وصلوا إلى بيت العسكري **عبد الله مزاوي** لم يكن موجودا ،وكان على كريم أن يفعل شيئا ،وكأنه أراد أن يثبت لنفسه وجودها الجديد عليه أن يبادر ليصبح قائدا مثل يزيد ...عليه أن يقتل بدون تردد؛ هذا ما فكر فيه كريم عندما وضع فوهة المسدس على رأس الشيخ العجوز والد العسكري الذي أقسم بأن ابنه غادر إلى الثكنة ، كان كريم يوجه مسدسه نحو العجوز المسكين « سبابتي على الزناد ترتعش قليلا فوهة البندقية المقطوعة الماسورة مصوبة تجاه رقبة الرجل ، على بعد سنتيمترات» [2].

[1] الرواية ،ص:152.

[2] الرواية ، ص: 160.

أمر يزيد بإطلاق الرصاص « تضبب بصري ، وأفرغ ذهني من كل شيء ، لا ينبغي أن أتردد ... علي بإطلاق النار فورا ...» [1] أطلق كريم النار على الشيخ البريء .لينقلب إلى يزيد آخر فقد قتل الشيخ البريء غير آسف أو نادم على ما فعل «ها قد تغلبت على ترددي اللعين ، المرة المقبلة سأكون أسرع سأواجه نظرات عدوي لأرى الرعب في عينيه » [2] هكذا تخلص كريم من تأنيب الضمير ، الذي كاد يقتله وهو يفكر في شرعية هذا القتل ، أما الآن فقد أصبح فعل القتل عنده فعلا جهاديا ، ينفذ الأوامر أولا ثم يفكر في شرعية القتل من عدمه ، انسحبت جماعة يزيد بعد أن أثنى هذا الأخير على كريم وفعله البطولي ورقاه إلى رتبة نائب الأمير وهذا ما أبهج كريم الذي أصبح يطمح لأن يكون مثل يزيد أميرا يقود جماعة يأمر فيُطاع مثل أميره يزيد .

2-3 صورة يزيد (الإيديولوجية المتطرفة) : يزيد لحرش واحد من شباب قرية وادي الرمان الذي تمردوا وشكلوا مجموعة مسلحة تسمي نفسها الجماعة الإسلامية المسلحة ، لجأت الجماعة إلى الأحراش والغابات المجاورة لقرية وادي الرمان وهي لا تكف عن الغارات المتكررة ، كان يزيد الموقع على أول اغتيال تشهده قرية وادي الرمان كانت تصفية من نوع خاص يقتل يزيد ابن عمه رئيس البلدية باسم الإسلام وباسم إقامة الدولة الإسلامية ؛قتله

[1] الرواية، ص:160 .

[2] الرواية ،ص:160.

بتهمة الخيانة للوطن والعمالة لسلطة الطاغوت كما يسمونها ، أرعبت تلك الحادثة سكان القرية وهزت يقينيات الناس .

قامت جماعة يزيد بإحراق دار البلدية في قرية وادي الرمان فقاموا بإحراق جميع السيارات الموجودة في الحظيرة لكن حارس البلدية لم يتمالك نفسه عندما همَّ يزيد بإحراق حافلة صغيرة ليصرخ في وجهه قائلا:

«- إنها حافلة العمال والفرق الرياضية! أجاب يزيد بلهجة خشنة :

تبا لهم .... وجب علينا حرقهم مع الحافلة .... لو كانوا رجالا لتمردوا على الطغاة ولالتحقوا بنا ، نعاج تبعبع لا تصلح إلا للذبح والسلخ ..»[1] م يكن يزيد يفرق بين العامل البسيط وبين الدركي وبين المسئولين وإن لم يكونوا في سلك العسكر ، كل من يعمل لدى (سلطة الطاغوت) كما تسميها الجماعة ،فقد أباح يزيد قتل الجميع .

يسعى يزيد لفرض إيديولوجيته وسلطته بأي طريقة كانت وسلطته بأي طريقة لم يكن يهمه أمر بقدر ما أهمه فرض سلطانه كان يرفض أإيديولوجيا تخالفه هو الآمر الناهي ، لم يكن سوط أذاه يطال سكان القرية فحسب بل حتى جماعته لم تسلم من ، كثيرا ما اشمأز من أحاديث الأفغاني وأبي سعد عن أيام الجهاد في أفغانستان فيقاطعهما بنبر احتقار واستعلاء :«حينما كنتم تتجولون في لندن والبقاع المقدسة ،وباكستان كنت وحدي ولم أتردد

[1] الرواية ،ص: 46.

في إعلان الجهاد ...كان يزيد لحرش مصراً على إقناع الجميع بأنه الآمر الناهي ،وعلى الجميع أن ينصاعوا لسلطته »[1]

لم يكن يحق لأحد التحدث عن أمجاده أمام يزيد فهو الأمير المجاهد الذي يسعى لإقامة الدولة الإسلامية كما يزعم، لم يكن ليقبل أي رأي مخالف لرأيه ولا أن يعترض أحد أوامره خوفا من غضبه لأنه «الأمير بالقوة والتقادم ، لا يقبل مخالفة لأوامره ولا حتى مناقشتها" [2] أشبع يزيد لحرش بإيديولوجيا متطرفة واقتنع بفتاوى مشايخ الحركة وفتاوى الأفغاني ؛وهو أحد المقاتلين في الجماعة فاستباح كل شيء الدماء بحجة تصفية عملاء "الطاغوت" و الأموال بهدف تموين العمليات الجهادية لإقامة الدولة الإسلامية المزعومة ،هذا ما أفتى به أمير الجهاد المسلح كما يصفونه ،جواز" قتل كل الذين يشتغلون في مؤسسات السلطة ،كما يجوز شرعا حرق وتدمير وإتلاف أملاك هذه المؤسسات العمومية لإضعاف السلطة ،تمهيدا لإقامة الدولة الإسلامية »[3] وهكذا كان يزيد يريد القضاء على ثلاثة أرباع الشعب لأنهم جميعا يشتغلون في مؤسسات الدولة .

يستنكر يزيد من جهة ما تقوم به الدولة من قمع واعتقالات وتصفية لأبناء الحزب الإسلامي؛ في حين ينتهج هو وجماعته الطريقة نفسها ، فطبقا لفتاوى الجماعة الإسلامية

[1] الرواية ،ص:49.
[2] الرواية ،ص:52.
[3] الرواية ،ص:80.

بوجوب قتل كل من يعمل في سلك الدولة ، قام يزيد بذبح الصحفي الوحيد ،محمد يوسفي لأنه كما يرى يزيد خادم الطغاة أعداء الله والإسلام : « انحنى يزيد لحرش والسكين بيده اليمنى (....) ودون أن ترتعش يداه مرر السكين على الرقبة انفجر الدم بقوة ،ارتعش الجسد في حركات حادة ،متتالية ارتفع شخير مخنوق ،ثم همد الجسد »[1]

هكذا كان يزيد يذبح بكل بساطة ودون أدنى شعور بالذنب أو الخوف ، لم يكن فعل الذبح مرعبا ليزيد الذي تجرد من كل إنسانية ، ليصبح اسمه مرعبا لسكان القرية «عن الذي قتل ابن عمه رميا بالرصاص ،وبكل برودة دم ودون أن تكون بينهما خصومات ذاتية أو عائلية ،يمكنه أن يبيد جميع سكان قرية وادي الرمان ، بلا تردد ولا أدنى شعور بالذنب أو الرحمة »[2] كان يزيد لا يؤمن إلا بمنطق القوة والسلاح لا يتردد لحظة واحدة ولا يترك لخصمه فرصة ، ولا لأحد بان يخالفه في الرأي أو المنطق أو يعارض فكره .

توجه يزيد لحرش إلى قرية وادي الرمان لجمع المال الذي يقول أنه من اجل تموين العمليات الجهادية لإقامة الدولة الإسلامية ....يجمع المال باسم الدين وباسم الإسلام وويل لمن يرفض الدفع هكذا يفكر يزيد وهذا ما قاله لكريم « سنجبرهم على الدفع المتواصل ... سنزورهم دائما وحينما نتأكد بان تاجرا يرفض الدفع عمدا ، ولموقف ضدنا حينئذ سنذبحه داخل حانوته ، ونشعل النار في السلع مثل هذا الفعل سيرعب بقية التجار وسنجبرهم

[1] الرواية ،ص:98.

[2] الرواية ،ص: 102.

على الدفع المتواصل .»[1] .لم يكن يهم يزيد أمر تطبيق القوانين التي سنها من أجل إقامة الدولة الإسلامية بقدر ما أهمه فرض سلطة الجماعة على القرية .

كان يزيد على استعداد لقتل جميع سكان قرية وادي الرمان بحجة أنهم يتعاونون مع سلطة الطاغوت فبعد أن سمع بمقتل ابن خالته وشقيقه وثلاثة من الممرضين الذين كانوا يمدونهم بالسلاح «هذه الليلة ،سننزل على وادي الرمان كالنسور الكاسرة كنت هناك في الليلة الماضية وعرفت بأن عسكريين يوجدان في عطلة ،واحدهم وصل البارحة فقط .سنذبحهم وسط القرية ،وفي الساحة العمومية وأمام جميع السكان .... سيعرف الطاغوت بطشنا و بأسنا ،سنزرع الخوف في قلوب السكان المتخاذلين الذين يتعاملون مع الطاغوت »[2] .

هكذا كان فِكر يزيد محملا بإيديولوجيا متطرفة ،كان خطابه دمويا ينمّ عن غطرسة و تطرف الرجل ،لم يستثني يزيد أحدا . جميع سكان القرية ف معرض الخطر لم تكن صورة يزيد معبرة عن إيديولوجيته هو فحسب ،فالأفكار التي يحملها تعبر عن توجه الجماعة الإسلامية المسلحة ككل .

3-3 صورة محمد يوسفي (الإيديولوجيا المقاومة):هو الصحفي الوحيد في قرية وادي الرمان الذي انهى دراسته الجامعية تخصص إعلام ،وهاهو الآن يعمل في التلفزيون الرسمي في قسم الأخبار ،كان محمد صديقا لكريم الذي وصفه بأنه « الفتى الخجول الذي يستمع أكثر

[1] الرواية ، ص:114.
[2] الرواية ،ص:155.

مما يتكلم ،وتحمر وجنتاه البارزتان كلما انحرف الحديث نحو الفتيات والحب (....)هادئ ومؤدب في كلامه»[1] وقد كان هذا الأخير على وعي بالوضع السائد في البلد ، لم يكن منحازا لطرف دون آخر كان فكره معتدلا يؤمن بالسلم والحل السياسي ، هذا ما أخبر به صديقه كريم الذي بدا متشائما من الوضع «كن صبورا وستمر الأزمة بخير إنشاء الله ،يبدو أن تغييرات جوهرية ستحدث هذه الأيام على هرم السلطة ،هناك حديث حول غلق المعتقلات وإجراء مفاوضات حقيقية من اجل استعادة السلم »[2]كان محمد يوسفي يشتغل في جهاز الإعلام التابع للدولة ،وهذا ما جعله هدفا ليزيد وجماعته المسلحة لأنه يعمل في إحدى مؤسسات السلطة .لذا وجب قتله حسب قوانين الجماعة .

انطلاقا من أفكاره وتصوراته المنطلقة من موقفه الإيديولوجي المعتدل يبين الحوار بين محمد يوسفي وبين كريم بن محمد الذي بدا فيه يوسفي متفائلا جدا رغم معرفته اليقينية بالوضع السيئ الذي آلت إليه البلاد من فساد في الإدارات والمؤسسات الكبرى في الدولة «الوزراء ومدراء الشركات والمؤسسات ؟كانوا في السابق موظفين صغار ،فزوروا ونهبوا وكتبوا تقارير(....) تشيد دائما بالمجهودات الجبارة التي تقوم بها الحكومة لحل مشاكل المواطنين فيكرمون بمناصب عليا تزيدهم نهبا لأموال الشغب وتزويرا للتقارير هذه هي البلاد للأسف

[1] الرواية ،ص:26.

[2] الرواية ،ص:30.

الشديد »[1] يعمل محمد يوسفي صحفيا في التلفزة الجزائرية ،وهو على وعي كذلك بتدهور الأحوال غي البلاد بسبب الصراع الدائر بين الأمن والجماعات الإسلامية المسلحة.

كان يوسفي على علم بالنشاط السياسي لصديقه كريم في الحزب الإسلامي سابقا وقد تم اعتقاله في إطار «حملة وقائية ذات طابع وطني، لم تحاكم حسب علمي (.....) معناه من الناحية القانونية أنك بريء (....) وأنا متأكد بأنك ستعود إلى عملك بدون صعوبة» [2] رغم استيعابه الكامل للواقع المعاش وهو واقع لا يبشِّر بخير إلا أن خطاب الصحفي يوسفي يبطِّن إيديولوجيته وفكره المقاوم والتصدي لهذا الواقع فرغم الصراع الدائر في البلد وحالة اللاأمن وانتشار الفكر التطرفي إلا أن الحياة مستمرة ورؤية محمد يوسفي للمستقبل تعكس وعيه الثقافي القادر على تجاوز الرهانات الحاضرة .

غزت الرؤية السوداوية أفكار الكثير من سكان القرية و غيرهم ،الضبابية والمستقبل القاتم هذا ما يراه **كريم بن محمد** «الأمن والسلم ،أين نحن من تلك الأيام ؟زماننا هذا مليء بالمشاكل ،بالصراعات ،بالعنف ،بالدم »[3] يوضِّح المقطعان السابقان وعيين مختلفين ينطلقان من تجربتين متناقضتين يوسفي لم يعش ما عاشه كريم في المعتقل ،فرغم وعيه بالفساد المستشري في أجهزة الدولة إلا انه يعمل في إحدى أهم مؤسساتها(الإعلام).

[1] الرواية ،ص:33.

[2] الرواية ،ص:29.

[3] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

ينطلق يوسفي من عيه وخلفيته الإيديولوجية التي ترى بضرورة التغيير في الوضع الراهن ،كانت أفكار محمد يوسفي ونظرته المستقبلة نظرة تفاؤل فهو يؤمن بالحل السلمي وبجدوى المفاوضات التي من شانها إيقاف شلال الدم ،في حين كانت رؤية كريم ضبابية انطلاقا من الواقع المعاش فهو قد عاصر بطش العسكر في السجن وكذا غطرسة أمراء الحركة في المعتقل لذا بدت له أفكار وتوقعات محمد يوسفي غير منطقية وبعيدة عن الواقع .

رغم كل التهديدات التي أطلقتها جماعة يزيد المسلحة في القرية بشأن تصفية كل من يعمل في مؤسسات الدولة ؛إلا أن الصحفي محمد يوسفي اعتبر نفسه خارج الصراع وخارج دائرة المستهدفين من قبل الجماعة انطلاقا من قناعته واعتقاده الراسخ بان الصراع طرفاه الأمن من جهة والجماعة المسلحة من جهة أخرى ،لم يكن محمد يوسفي يعتبر نفسه طرفا في الصراع ،إذ ليس له توجه حزبي معين ناهيك عن طبعه المسالم والهادئ ،هو يشتغل كغيره في مؤسسات الدولة ليعيش يعتقد بان الجماعة الإسلامية التي تقاتل باسم الإسلام وتعاليمه السمحة لا يمكن أن تقتله دون جريرة .

دارت أفكار كثيرة في رأس يوسفي الذي أوقع به صديقه كريم وسلمه لجماعة يزيد التي قيدت معصميه وساقته إلى الأحراش «قال بأن الجماعة اختطفته لتبعث معه رسالة على الرأي العام ،أليس صحفيا في التلفزة الوطنية ؟إن مشاركة كريم في عملية الاختطاف ،دليل [1]

[1] الرواية ،ص:97.

قاطع على إن المسالة لا تتجاوز حجزه لساعات قليلة ثم يطلق سراحه ليكلف بإبلاغ رسالة .....»[1] لكن جماعة يزيد لم تكن تريد إيصال أي رسالة لا شفوية ولا مكتوبة عن طريق الصحفي ،وإنما كانت رسالتها هي ذبح الصحفي لتدخل في صراع مع سكان القرية وليس مع السلطة فحسب .

ذُبِح الصحفي محمد يوسفي على يد يزيد بعد أن قيدوه رموه أرضا « قاوم بكل ما أوتي من القوة (....) مواطن كثيرة في جسده تؤلمه ألما شديدا خاصة المعصمين والرأس بحث ببصره المرعَب عن كريم ،ربما عثر عنده على جواب أو استنجد به لم يتمكن من رؤيته(....) فجأة توقف عن المقاومة ربما اقتنع بان الموت سيدركه لا محالة بعد لحظات ،أغمض عينيه ،نطق بالشهادتين .مرات عديدة ،واستسلم لمصيره المأساوي»[2] . قاوم الصحفي يوسفي ظروف القرية المحاطة بالخوف وانعدام الأمن ،وعمله في جهاز الإعلام ليس اعترافا منه بصلاح مؤسسات الدولة ؛فقد كان على علم بفساد مؤسساتها وإنما انطلاقا من إيديولوجيته ووعيه المبني على الإيمان بضرورة التغيير وحتميته ، كان مؤمنا بالحل السلمي لكنه وقع ضحية للواقع الدموي الذي لا يقبل بل ويقمع كل سبيل لحل الأزمة سلميا .

[1] الرواية ،ص:97.

[2] الرواية ،ص:98.

الخاتمـــــة

الخاتمة:

بعد أن تناولنا في بحثنا هذا الإيديولوجيا وما تعلق بها في رواية "**الورم**" لمحمد ساري بدءًا من عرضنا للجانب النظري المتعلِّق بمفاهيم الإيديولوجيا وصولا إلى استثمار المصطلح واستخراج تمظهرات الإيديولوجيا في الرواية، والذي ورد في الجانب التطبيقي لهذا البحث نصل هنا إلى جملة من النتائج أهمها :

أولاً: تصنَّف رواية "الورم" **لمحمد ساري** والتي تعدُّ نسخة معربة عن روايته "المتاهة"، والتي كتبها باللغة الفرنسية وصدرت سنة (2000) ضمن الرواية الأيديولوجية؛ إذ تناول هذا النَّص الرِّوائي الصِّراع الأيديولوجي بين فكرين متناقضين: فكر الجماعة الإسلامية المسلَّحة التي تحاول فرض أيديولوجيتها من خلال الدخول في صراع مع الدولة، وبين الدولة التي تحاول التصدِّي لإيديولوجيا هذه الجماعة التي انتشر فكرها المتشدِّد في أوساط الشباب واستشرى كالورم في جسد الأمة الجزائرية، وساعد في انتشاره الظروف الاجتماعية السيِّئة وانتشار الفساد في مؤسسات الدولة. بالإضافة إلى تأثير الخطاب الدِّيني الذي اتخذته الجماعة المسلَّحة سبيلا لاستقطاب عدد كبير من الشباب للانضمام إلى صفوفها .

ثانياً :كان لتمظهرات الإيديولوجيا حضورها البارز في الرواية، والذي ظهر من خلال خطاب الشخصيات، الذي قدم بعدا أيديولوجياً فكرياً دالاً على انتماءات الشخصيات وذلك من خلال الصِّراع بين إيديولوجيات ثلاث :إيديولوجيا متطرِّفة مثَّلتها الجماعة الإسلامية في

شخص قائدها **يزيد**، إذ صوَّر الكاتب ظاهرة ‹الأيديولوجية الإسلامية المتطرّفة› التي برزت في تلك الفترة مجسَّدة في شخص **يزيد** ، كما صوَّر الإيديولوجيا المعتدلة التي مثَّلها الصحفي **محمد يوسفي**، وهي ذاتها إيديولوجيا الدولة التي تجب محاربتها في نظر الجماعة المسلَّحة؛ ومحاربة كل من يشتغل في المؤسسات التابعة لسلطة الطَّاغوت (كما يسمونها)، وأخيرا الانقلاب الجذري من الفكر المعتدل إلى الإيديولوجيا المتشدِّدة والتي مثَّلها **كريم**، الذي جرفه تيار الفكر الإسلامي المتطرِّف فوقع تحت تأثير الخطاب الديني الداعي إلى الجهاد ليتبنَّى هو الآخر فكر الجماعة الإسلامية المتطرِّف.

ثالثا: إلى جانب التَّوظيف الإيديولوجي للشَّخصيات لعب عنصر المكان دورا بارزا في الرواية إذ حمل دلالات إيديولوجية عديدة، وكان له كبير الأثر في تشكُّل الصِّراع ،إذ اختار الكاتب القرية وما جاورها من أرياف لتكون مسرحا للصِّراع الإيديولوجي فاستهلَّ الكاتب روايته بوصف دقيق للأمكنة التي شهدت الصراع بين الدولة والجماعة المسلَّحة باعتبارها من أكثر الأمكنة التي شهدت الصِّراع زمن المحنة ،والتي اتخذتها الجماعات الإسلامية مركزا لتنطلق منها في تنفيذ عمليَّاتها، فكانت القرى مصدر تموين سرمدي للجماعة المسلَّحة ومكانا آمنا لها .

رابعا: يمكن تصنيف رواية "الورم"ضمن أدب المحنة كما يسمِّيه النقاد، إذ عبَّرت هذه الأخيرة عن واقع الجزائر في فترة التسعينيات من خلال تناولها لظاهرة الإرهاب الذي كان نتيجة للتَّحولات التي شهدتها جزائر التسعينيات ، وانتشار الفكر الإسلامي الجهادي المتشدِّد

،فكانت "الورم" نصا روائيا واقعيا جدا عبَّر عن أتون المحنة التي طبعت العشرية الثالثة بعد الاستقلال وما نتج عنها من صراعات أيديولوجية .

الملاحـــق

1/ملخّص الروايــة

2/ملخّص الدّراسة

ملخص روايــة الورم:

تدور أحداث رواية الورم في فترة التسعينيات تلك الفترة الدموية في تاريخ الجزائر في قرية تدعى "وادي الرمان"،بطلها شاب يدعى كريم بن محمد كان أحد مناضلي الحزب الإسلامي، تعرض للسجن في بدايات الأزمة ،كان على وعي عميق بخطورة الوضع وبالمسار الخاطئ الذي نهجه مناضلو الحزب،لذا فضل الابتعاد عن معمعة السياسة وذلك بسبب ما قاساه في السجن،وقرر العيش كمواطن عادي إلى أن اتصل به"يزيد بن لحرش"-صديق سابق وأحد مناضلي الحزب-الذين فضلوا صعود الجبل ونهجوا نهج القتال المسلح،طالبا منه اغتيال صحفي هو صديق كريم اسمه"محمد يوسفي"وهو في نظر كريم مسلم لا يجوز قتله.كان كريم متيقن من وحشية و يزيد فقد قتل ابن عمه رئيس بلدية وادي الرمان بدم بارد ودون مراعاة لصلة القرابة والدم وأقدم يزيد وجماعته على إحراق دار البلدية ،ومعها كل السيارات بما فيها حافلة العمال.ثم توجه يزيد إلى عمارة الدرك الوطني في تحد صارخ ينبئ عن نوايا جماعته في التمرد وتحدي الحكومة.تبادل الطرفان إطلاق الرصاص،لتنتهي بمقتل فتاة هي احدى قريبات رئيس مفرزة الدرك.في المسجد يفاجئ كريم مرة أخرى"ببوشاقور"معاتبا إياه على التأخير في عملية الاغتيال ،لا يزال كريم غير مقتنع بشرعية هذا القتل،لكن خياراته كانت ضيقة ، في إحدى الليالي استدرج كريم صديقه إلى خارج القرية في حين كان محمد يوسفي مطمئنا جدا لصديقه الغادر،لتفاجئه جماعة يزيد،كبلوا يديه وساقوه إلى مكان بعيد وذبحوه أمام كريم لتكون تلك بداية التحاق كريم بالجماعات المسلحة . كانت أصابع الاتهام كلها موجهة نحو

كريم خاصة بعد خروجه مع يوسفي وعدم ظهوره بعد ذلك.وبعد فترة وجيزة تم اغتيال الدركي الشاب"بلقاسم عرفاوي"على يد نادل القهوة "عبد النور"الفتى الصغير الذي كان تلميذا لدى كريم بن محمد" ثم التحق بالجماعة المسلحة .

و بقيادة "رابح بن سالم"اكتشف الدرك مخبأ جماعة يزيد-حوش غريس-رسم الدرك خطة محكمة لمباغتة المخبأ والقضاء على من فيه ،وفي تلك الليلة غير "رابح بن سالم" الخطة اضطرارا بسبب طمعه في مناصب عليا محاولا القبض على يزيد حيا ،أمطر يزيد وجماعته الدرك بوابل من الرصاص ،قتل "رابح بن سالم" وجرح دركيان آخران في حين قتل "عبد النور" وجرح"كريم" لتهرب جماعة يزيد ويخسر الدرك تلك المعركة.تلقى "كريم" العلاج على يد الممرض"مصطفى" ابن خالة يزيد استعاد عافيته وعثر "بوشاقور"على مخبأ جديد لرفاقه،ليفاجئهم يزيد بخبر مقتل مصطفى وممرضان آخران و"حسان" شقيق يزيد صفتهم الدولة لعلاقتهم بالجماعة.في تلك الليلة توجه يزيد بعد أن استعان بجماعة أخرى لتدعمه إلى قرية وادي الرمان بنية الانتقام مستهدفا عسكريين في الخدمة الوطنية جاؤوا لقضاء عطلتهم،قتل الأول أمام الملأ في حين لم يجد الثاني في بيته فعمد "كريم"إلى والد العسكري يهدده بالقتل إن لم يخبره بمكان ابنه ثم نفذ تهديده وقتل الأب أمام أعين أهله وعمد "بوشاقور" إلى الابن ذي العشر سنوات وذبحه أمام أمه ليبدأ "كريم"حياة جديدة لا تختلف دموية وإجراما عن حياة أميره "يزيد".

التعريف بالمؤلف:

محمد ساري روائي ومترجم جزائري ولد سنة 1958 بشرشال غرب الجزائر العاصمة، بدأ التدريس بجامعة الجزائر سنة 1983 سيميولوجيا والنقد الحديث،وهو واحد من النقاد الذين انتقلوا من الكتابة النقدية إلى الروائية وبالموازاة مع الكتابة الأدبية خاض ساري تكويناً أكاديمياً، جعل منه أصغر أستاذ جامعي في الجزائر عام 1983. إذ عاد من «جامعة السوربون» محملاً بدبلوم دراسات معمقة (1981)، وهو لا يزال شاباً في العشرينيات، قبل أن يصير أستاذاً محاضراً في «جامعة الجزائر المركزية» في تخصص السيميولوجيا،، ،له مؤلفات نقدية عديدة«البحث عن النقد الأدبي الجديد» (1984) «محنة الكتابة» (2007)..،اشتغل في حقل الترجمة فنقل 19 كتاباً إلى العربية، وكتب باللغتين العربية والفرنسية له روايات عدة أرخت لأحداث الجزائر الحديثة وهي: "على جبال الظهرة" "السفير" و"البطاقة السحرية" لمنشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، "المتاهة" بالفرنسية، ثمّ رواية "الورم" . حملت آخر إصدارات محمد ساري الروائية عنوان «الغيث» (البرزخ ـ 2007)، وفيها تطغى لغة الحكايات الشعبية الغرائبية المستمدة من حياة الناس البسطاء.

ملخص الدراســـة:

صوَّر **"محمد ساري"** من خلال نصِّه الروائي "**الورم**" الذي نشره سنة 2002 ظاهرة الإرهاب في الجزائر أثناء العشرية الثالثة بعد الاستقلال ، فبنا مادَّته الرِّوائية انطلاقا من الواقع المعاش في جزائر التسعينيات .إذ تصوِّر روايته انتشار الفكر الجهادي المتطرِّف في أوساط الشباب في قرية تسمَّى "**وادي الرمَّان**" حيث يدور الصِّراع فيها بين الجماعة الإسلامية المسلَّحة التي تحاول فرض أيديولوجيتها المتطرِّفة على سكَّان القرية ؛وجر كثير من شبابها خلف التيَّار الإسلامي المتشدِّد، فوقعوا تحت تأثير الخطابات الدينية للجماعة وبين خطاب الدَّرك الذي يمثّل إيديولوجيا الدَّولة، و يسعى بشتَّى الوسائل للحدِّ من نفوذ هذه الجماعة التي هيأت في خضم الظروفُ الاجتماعية والسياسية المتردية في البلاد في تلك الفترة الأرضية الخصبة لانتشار فكرها .

Abstract:

The novel “ AL-WARAM” of Mohamed Sarri, which was published in 2002, was about the terrorism in Algeria during the third decade after the independence, it was based on the events during the ninety’s. the writer portrays the spread of the radical ideology between the

young people of "Ouadi Roman" village, where the conflict between the Armed Islamic Group and the national guards took place. The armed group was trying to impose its radical ideology on the habitants of the village and attracting the young people through the Islamic speechs.

The National Guard, that was presenting the government's ideology, on the other hand, was working to limit the expansion of the group, which was caused by the unfortunate social and political conditions during that period.

البيبليوغرافيا

أ – المصادر :

- محمد ساري،رواية الورم،منشورات الاختلاف،ط1 ،2000 .

ب _ المراجع العربية:

-أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ط2 ، دار الكتاب اللبناني،1985.

- حميد الحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا،ط1، المركز الثقافي العربي، 1990.

- رمضان الصباغ،الفن والإيديولوجيا،ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2005.

- عبد القادر القط، في الأدب العربي الحديث، دار غريب للطباعة والنشر،2001.

- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت،1993.

- عمر عيلان، الإيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة:دراسة سوسيوبنائية، الفضاء الحر، (ب.ت.ن).

- محمد مندور، في الأدب والنقد،نهضة مصر للطباعة والنشر.

- نبيل توفيق السملوطي، الإيديولوجيا وقضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية.

- سليم بتقة، البعد الإيديولوجي في رواية الحريق لمحمد ديب، ط1،دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر،2013.

- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي بيروت، لبنان.

ج – المراجع المترجمة

- انريك اندرسون امبرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد المكي، مكتبة الآداب، القاهرة،1969.

- بول ريكور،محاضرات في الإيديولوجيا واليوتوبيا،ترجمة فلاح رحيم،ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة،2002.

- تيري ايجلتون، نقد الإيديولوجية، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت.

- جورج لوكاتش، نظرية الرواية وتطورها،ترجمة نزيه شوقي.

-كارل ماركس، الإيديولوجيا الألمانية،ترجمة فؤاد أيوب، ط1، دار دمشق،1976.

-كارل مانهايم،الإيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولجيا المعرفة، ترجمة محمد رجا عبد الرحمان الديريني، ط1، شركة المكتبات الكويتية، أكتوبر1980.

د–الرسائل العلمية

- سليم بركان، النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي:دراسة سوسيولوجية لرواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية،كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر،2004/2003.

- السعيد العموري، الكتابة والتشكيل الإيديولوجي في الرواية العربية المعاصرة:دراسة نقدية إيديولوجية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية،كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة،2013/2012.

ج _ الدوريات

- البعد الديني والإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة:رواية الطاهر وطار أنموذجا، مجلة قراءات،كلية الآداب واللغات الأجنبية جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الخامس،2013.

د _ المعاجم

- جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع ط1،ترجمة أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، ، بيروت ،2011

هـ-المواقع الإلكترونية:

بشير مفتي، http/www.daharchives.alhayat.com/24/06/2007

تحولات العنف الجزائري ماضيا وواقعا. الغيث رواية للكاتب محمد ساري،

http/www.aljazeera.comندوة الفضائية حول العلاقة بين الأدب و الإيديولوجيا،تاريخ .الحلقة2005/07/12

htt://www.marxist.com.Wednesday26Novembre, 2014,

راهنية افكار ماركس ،.

htt://www. hunawarda.blogspot .com2011/01/22

المثقف والسلطة ،هشام عمر النور نشرت في:

www.globalarabnetwork.com/tusday 02janaury2009.

معتصم الحارث الضوي ، مقاربة العنوان في النص .

الفهـــرس :

الإهداء.....

مقدمة.....أ_ ج

تمهيد:الأدب و الإيديولوجيا **01**

الفصل الأول:المجال المفهومي للإيديولوجيا

1/الإيديولوجيا كعلم للأفكار.....12

2/المفهوم الفلسفي للإيديولوجيا.....18

3/الإيديولوجيا في الفكر الماركسي.....28

الفصل الثاني :المجال المفهومي للايديولوجيا

1/الرؤية الإيديولوجية من خلال:(العنوان،المتن،الانتماء)

1-1 العنوان 34

1-2 المتن.....38

1-3 الانتماء.....48

2/ الصراع بين الدرك والجماعة المسلحة.....52

3-صورة الشخصيات والانتماءات الإيديولوجية

3_1صورة كريم(الانقلاب الجذري).....65

3_2صورة يزيد(الإيديولوجيا المتطرفة).....72

3_3صورة محمد يوسفي(الإيديولوجيا المقاومة).....76

الخاتمة.....81

الملحق.....85

الببليوغرافيا.....92

الفهرس.....97